عبد الجبار العمر



محاكمات سياسية مثيرة أمام القضاء العراقي

مصرع الكولونيل لچمان

دار القادسية للطباعة
بغداد - أعظمية - هاتف [illegible]

عبد الجبار العمر

محاكمات سياسية مثيرة امام القضاء العراقي





المقـــدمة

سبق ان نشرنا موضوع « مصرع الكولونيل لجمان » في مجلة آفاق عربية • العدد ١١ في تموز ١٩٧٧ ، والموضوع يمثل صفحة من صفحـات ثورة العشرين التي بذل فيها الشعب العراقي دماء غالية وتضحيـات جمـة لصيانة كرامته وتحقيق استقلاله الوطني والقـومي ، وكانت الثـورة من العنفوان والشدة بحيث قال قائل الانكليز في بلاده : « ليتنا لم نذهب الى هناك » ويريد العراق باشارته •

لقد تناولت المصادر والدراسات التي كتبت عن ثورة العشرين قضية الشيخ ضاري ولجمان تناولا عابرا ، وجنح اغلبها الى اعتبار الحادث الذي وقع بينهما في نقطة أبي منيصير قد وقع لاسباب آنية لا تتعدى المشادة التي ثارت بينهما عندما اتهم لجمان الشـيخ ضاري بتحريضـه على قطع طريق بغداد ــ فلوجة على السابلة والمسافرين •

وهذه المقولة التي انطلقت كجزء من خطة محامي الدفاع عن الشـيخ ضاري لتبرئة ساحته من التهم التي جابهها في محكمة جزاء بغداد الكبرى تهمل حقائق مهمة تتعلق باتصالات الشيخ ضاري بالثورة سواء في بغداد أو في الفرات الاوسط ، وأن ضاري قد حدد موقفه المعادي من الانكليز منـذ حصار الكوت ونازل الانكليز بعدها في معركة اصطبلات على طريق بغداد ــ سامراء قبل قتله لجمان ببضع سنوات • وقد روى لنا الشيخ خميس الضاري ان أباه كان قد اجمع على قتل لجمان قبل المقابلة المذكورة بأكثر من شهرين ، بل وارسل جماعة مسلحة لتنفيذ قتله في ديرة الشمار (فرع من زوبع) ، وقد أخفقت المحاولة لعدم حضـور لجمـان الى المكان الذي توقـع ضـاري وجوده فيـه •

كما نصت بعض المصـادر الاساسية ان حكام الانكليز السياسيين في (لواء الرمادي) كانـوا يكرهون الشـيخ ضاري وكان الشـيخ يبادلهم كرها بكره ، فلم يلاحظ ضابط الشبانة عبدالجبار الجسام ان ضاري كان يحاول التقرب من أولئك الحكام أو اظهـار التودد اليهم شـأن غيره من الشـيوخ •

وتتضمن الناحية الثانية التي أكدنا عليها هنا ردا على المصادر الانكليزية التي اتهمت ثوار العشرين بانهم من قبائل اصلها متوحشة ، وقد قاموا بثورتهم للسلب والنهب والكسب ، حيث رأينا عقلانية الثوار وعاطفتهم الانسانية وتعاليهم عن أخذ ما سوى التجهيزات العسكرية التي أصبحت حقا طبيعيا لهم بعد اعلانهم الثورة ضد سلطات الاحتلال .

وبينا في هذا الموضوع وحدة الثورة العربية ، وأن ثورة العشرين العراقية ليست سوى مظهر من مظاهر الثورة العربية العامة على خلاف بعض الدراسات التي اجهدت اقلامها دون جدوى في ابراز ثورة العشرين ثورة منبتة الاواصر مقطوعة الصلة عن تيارات الثورة العربية في الحجاز ومصر وبلاد الشام ، وكان من الواجب ان نقف عند هذه الناحية وقفة طويلة ، ولكننا آثرنا نشر الموضوع في طبعته الاولى كما نشر في مجلة آفاق عربية أول مرة ولعلنا نعود الى هذه الناحية في دراسات أخرى .

ولابد ان نذكر هنا ان نشاط الشيخ ضاري العسكري اقتصر على المنطقة المحصورة بين أبي غريب والفلوجة وما يقابلها من خط سكة حديد بغداد سامراء قرب دجلة وبضمنها خط سكة حديد بغداد الفلوجة العامل يومئذ ولم يتعد الى الرازنجية وسواها من ميادين الثورة في الفرات الاوسط على ان المنطقة المذكورة كانت بالغة الخطورة في حساب سلطات الاحتلال البريطانية لقربها من بغداد ولانها غير بعيدة عن ثورة الفرات الأوسط التي وصلت طلائعها العسكرية الى قريب من مدينة المسيب ، في حين كانت سلطات الاحتلال شديدة القلق من النشاط العراقي في دير الزور وكانت فعاليات عشيرة العكيدات العسكرية بقيادة مشرف الدندل ومحمد الهامة تصل الى منطقة عنه ، وقد عين الكولونيل لجمان حاكما على لواء الرمادي لمجابهة مشاكل دير الزور بالدرجة الاولى وللمحافظة على الهدوء في المنطقة التي يمكن ان تكون صلة الوصل بين مناطق الثورة المختلفة وبغداد .

وفي الختام نجد من الواجب التنويه بان الجريدة التي تولت الدفاع عن قضية ضاري دفاعا حارا هي جريدة الاستقلال وكان لصاحبها الاستاذ عبدالغفور البدري ــ رحمه الله ــ الدور الفعال في اختيار المحامين ووضع الخطط للخروج بالمجاهد المتعب من قفص الاتهام الى مضيفه في صدر المبادي ..

بغداد في ١٥ نيسان ١٩٨٣ عبدالجبار محمود العمر

1

انه مريض.. مريض حقاً.. ولولا مرضه لما ترك قرية كفر توثا التي آثر الاقامة فيها يلتمس الطبيب والعلاج في حلب.. وخمن انه اذا لم ينتفع من الطب هناك فامامه اسطنبول ... كان ذلك في بداية تشرين الاول 1927 ، ويومها كان قد قطع بضع سنوات بعد السبعين من عمره .. وقد اصطلحت على جسده الواهن الضعيف مختلف العلل والامراض فارهقته تحت وطأتها فماذا عسى ان يصنع له الاطباء في حلب او في اسطنبول ؟ .

يمدون في عمره ؟ هيهات . . اذا استوفى الانسان اجله فلن يستطيع اطباء الارض ان يعملوا له شيئاً ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . يخففون آلامه .. ؟ ربما يستطيع ان يجيب للوهلة الاولى بنعم .. ولكن حتى هذا بيد الله .. اذا شاء امراً هيأ له اسبابه ويسر سبله ، واذا لم يرده فان اية مفاجاة لم تقع في الحسبان يمكن ان تحدث فتحول دون وقوع مالا يريده الله ... كل شيء بارادته ... ساله رئيس محكمة الجزاء الكبرى لمنطقة بغداد بعد القبض عليه بنحو شهرين اثناء المرافعة :

ـ من جاء بك الى سنجار

فأجابه باستسلام

ـ الله .. الله .. هو الذي جاء بي الى سنجار .

ووجه ذلك انه لم يستصحب معه (زلمته) الذي اراد مرافقته من كفر توثا بل رده رداً حسناً وابقاه في القرية المذكورة . وعندما وصل الى ديرة شمر في سوريا وعلموا منه انه سيضرب في الجزيرة بين الخابور وسنجار لملاقاة ولده سليمان الذي كان مع (الحلال) هناك ارادوا أن يبعثوا معه بعض المسلحين لمرافقته في رحلته هذه خشية عليه من اي عارض وتحسباً لاي طارىء ولكنه رفض ذلك ايضا ، كل الذي طلبه منهم ان يهيئوا له سيارة تقله الى حيث يلاقي ولده ليكون رفيقه الى حلب. ويروى ان تاجراً ارمنياً كان يتجول بين مضارب شمر في ذلك الوقت وانه كان مالوفاً لديهم فكلفوه ان يلتمس لهم السيارة المطلوبة فارسل لهم هذا سائقاً ارمنياً يذهب الاب انستانس ماري الكرملي

الى انه من التابعية التركية وهو راي لا يرمي الى تبرئة الأرمن من عميل بقدر ما يحاول النيل الظالم من تركيا التي كان الشيخ ضاري قد التجأ اليها .. ولعل الجهات الانكليزية في العراق غير بعيدة عن الترويج لمثل هذا القول وقد نشرت بعض الصحف العراقية تنبيهاً بتوقيع خبير اكتفت فيه بنفي ان يكون ذلك السائق من الطائفة الارمنية .

لم يشأ ميكائيل كريم ـ وهذا هو اسم السائق ـ ان يبحث مع الشيخ عن اجرة سيارته .. ويذكرون انه كان مسروراً لانه يؤدي خدمة الى شخص مثل الشيخ ضاري ... وفي الطريق وجدا شخصاً متطوعاً فتوقف السائق قليلا والتفت الى الشيخ ورجا منه ان يأذن له بنقله معهما خاصة وان السيارة لا تضم غيرهما فابدى الشيخ موافقته وعندما صعد الاخير الى السيارة سارت برهة ثم غيرت من اتجاهها .. واحس الشيخ انه وقع في مكيدة وان هذين الشخصين قد اصطاداه ولا بد من انهما كانا على موعد ، وسوف يواجه قضيته ساخنة بل شديدة السخونة .

ومن يدري فلعل لمرور ثمان سنوات على حادثة نقطة ابي منيصير وصدور عفو خاص عن اغلب الذين استثناهم العفو العام وكونه في البلاد التركية البعيدة عن النفوذ الانكليزي يومئذ اثراً في ان يامن الدهر ولا ياخذ باسباب الحذر الواجب اتخاذها في مثل موقفه .

سألت الحاج سليمان الضاري عن رايه في القبض على والده هل تم صدفة وان الجائزة المغرية التي وضعها الانكليز على راسه هي التي اغرت ميكائيل كريم وصاحبه المنقطع الذي يذهب البعض الى انه ابوه بتسليم الشيخ الى السلطات في سنجار او ان الشخصين المذكورين ومعهما التاجر نفذوا المهمة التي اوكلتها لهم المخابرات البريطانية بحكم الواجب ؟ .

فاجاب :

قبل القبض على والدي زرت الشيخ مشعان الجربا في مضيفه وتجمعنا به صلة القرابة والرحم وقد اخبرني ان طبيباً للعيون يزعم انه مصري حل في نزلهم .. وقد تعجبت من ذلك لان النزل ليس بعيداً عن الحسكة وفيها كثير من الاطباء .. وساقني حب الاستطلاع الى زيارة ذلك الطبيب في خيمته فوجدته يتزيا بزي البدو ويتكلم لهجتهم ويصطنع عاداتهم فامر خادمه بتقديم القهوة واحتفى بي كثيراً .. وبعد

صدور العفو عني وعودتي الى العراق علمت من مصادر موثوقة ومطلعة ان ذلك الطبيب هو الذي (دق المسمار) في قضية القبض على والدي وانه لم يكن سوى واحد من الجواسيس الذين بثهم الانكليز لتعقبنا .

والتاجر الذي جاء بمكائيل ؟

اعتذر فيما بعد بانه لم يكن يعرف نوايا ميكائيل

واذا اردنا ان نبدي شكوكنا هنا فاننا لا يمكن ان نستبعد ذلك التاجر من حبك خطوط طريقة إلقاء القبض ولا سيما ان ميكائيل هذا كان بحاجة الى الوقت لارسال رفيقه المنقطع للوتوف حيث وجدوه كجزء من الخطة وان فكرة القبض على الشيخ لا يمكن ان تكون قد استجدت في راسه آنيا . ويذكر انه هو الآخر عاد الى مصر واقام فيها بعد ان توفقي مهمته وقبض الجائزة .

وقد وصفت طريقة القبض على الشيخ ضاري بانها «مخيفة وشاذة من شانها ان تؤثر في نفسيته وتربك عقليته ، لقد قبض عليه فجاة ولم يشعر الا وانه اصبح في ايدي ماموري الحكومة المعقبة له ، بينما كان هو يقصد مكانا آخر لاجل معالجة المرض الذي الم به،وفي هذه الحال المزعجة جيء به الى سنجار مشدودا وثاقه وظل زمناً غير يسير تحت تاثير الامطار في ذلك الطقس البارد في السيارة التي قبض عليه فيها » .

هذا هو كلام هيئة الدفاع امام محكمة الجزاء الكبرى في بغداد ارادت به ان تضعف افادته التي ادلى بها في سنجار . والارجح انه جابه الأمر بعدم اكتراث اذعاناً لما كتبه الله على الرغم من ان علته قد اشتدت عليه من اثر الامطار الغزيرة والثلوج التي عمت منطقة سنجار في ذلك الشتاء بالذات .

قال له يوسف نمرود رسام قائممقام سنجار وهو يطمعه (بعفو بريطانيا العظمى) ليستدرجه في الاعتراف .

انت الآن شيخ كبير وليس بمستنكر على بريطانيا وهي الدولة العظمى المعروفة بتسامحها ان تعفو عنك بعد ان وقعت في قبضتها.

فرد عليه ضاري قائلا :

اني الآن كما قلت شيخ كبير وضعيف القوى ... ولو كنت حصانا لم يبلغ ثمني اكثر من خمسة مجيديات فاذا جوزيت بعفو بريطانيا فالفخر لها ... واذا لم تعفو فالفخر لي لانني خاصمت حكومة كحكومة بريطانيا المشهورة بعظمتها في سبيل امتي وبلادي .

مكث الحصان العجوز .. الاصيل في سنجار بضعة ايام وبعدها نقل الى الموصل

واثناء محاكمته في بغداد وقع اختلاف بين افادته في الموصل وما كان يدلي به امام المحكمة ، فقال له الحاكم :

انت اعطيت افادة في الموصل ..

فأجابه :

في الموصل . ؟ . نعم اعطيت افادة في الموصل . ما كان عندي شعور .. كتفوني .. ضربوني .. كنت خائفا كل دقيقة اقول : الآن يقتلوني .

ومن ثم طوف به الى بغداد وبقي فيها ما شاءت الاجراءات الرسمية المشددة ان يبقى ثم حمل الى الرمادي حيث تمت امام حاكمها السيد عبدالمجيد جميل محاكمته وقد نظر الدعوى بصفة حاكم احالة وبعد انتهائه منها قرر نقل الدعوى الى محكمة الجزاء الكبرى ببغداد ولنا هنا ان نتصور شيخا طاعنا في السن قد ركبته الامراض بالاساس وعانى من آلامها المبرحة وطوف به مئات الاميال في وسائل نقل متخلفة على طرق شديدة الوعورة وما صحب ذلك من استجواب وتعذيب نفسي وارهاق جسمي لنخمن كم نقص من ثمن الحصان ــ الذي كان لا يساوي اكثر من خمسة مجيديات وهو في سنجار ــ عندما مثل امام المحكمة الكبرى ببغداد بعد شهرين .

وفي بغداد تخيله بعضهم قبل ان يقع بصره عليه جبارا من جبابرة الصحراء قد اتاه الله بسطة في الجسم ومتانة العضل وشراسة الطباع وفتك الوحوش ، ومن الواضح انه استوحى ذلك من معنى كلمة ضاري ولان هذا الاسم قد دوى في طول البلاد وعرضها وكان صاحبه ــ هو في محنته ــ شغل الشعب والحكومة الشاغل ، وقد كانت دهشته شديدة عندما رأى ظواهر الشيخ ــ وهو يدخل الى قاعة المحكمة ــ ضئيلة فقد كان « كبير السن صغير الجثة ضعيف البنية فقير الدم باهت اللون ، ولولا بؤبؤه الاسود الذي يشع منه نور حاد لظنه الرائي جثة هامدة » ــ

وقال الحاكم مرة لتلك الجثة :

احك لنا يا ضاري ما عندك

فأجابه ضاري :

— قوة . . . قوة ما عندي حتى اقوم واحكي . انا ميت

— تقدم الى هنا وابق جالساً وتكلم

« فتقدم الشيخ ضاري وهو لم يزل جالساً في القفص ومتوكئا على خشبة الحاجز واخذ يتكلم بصوت خافت متقطع »

واثناء حواره مع هيئة المحكمة اتى على وصف مقابلته لليجمن في مركز النقطة واعتداء الاخير عليه باليد واللسان

— دخيل ارجوك .. ترحم علي ياصاحب . والصاحب ما كان يرضى . . .

وسكت الشيخ ليستعيد قواه ويلتقط انفاسه المتقطعة ، والحقيقة ان النقطة التي وقف عندها الشيخ كانت مثيرة جدا لقد ظن القاضي ان ضاري سيقول له بعدها ، وعند ذلك لم اصبر فاستللت سيفي وارديت به الكولونيل قتيلا . او ، فاوعزت الى نفر من رجالي ليطلقوا عليه رصاص بنادقهم .. فكان ما كان .. ولكن الشيخ اخذ يحدق في يده دون ان ينبس بكلام . وعندها قال له القاضي بلهفة

وبعد ذلك ما الذي جرى ؟ تكلم .

اصبروا عليّ حتى أتكلم . ما عندي قوة للكلام .

وعن جلسة المرافعة الاخيرة التي عقدت يوم 30 كانون الثاني 1928 وهي الجلسة التي اخذت فيها افادة المتهم واستمعت المحكمة الى مطالعة هيئة الدفاع كتبت جريدة العراق ــ والمعروف انها جريدة ذات اجواء بريطانية ــ !

« عقدت جلسة المحاكمة وحضر المحامون وكان قد اتي بالشيخ ضاري بسيارة السجون الى المحكمة وحمل على الاكتاف من باب المحكمة الى غرفة المتهمين وذلك لان قواه قد خارت واشتد به مرضه .. »

وقبل ان تعقد الجلسة طلب محامو الدفاع تأجيل المحاكمة واحالة المتهم الى المستشفى لانه ظاهر الوهن ولا يقوى على الاستمرار في المرافعة ولا سيما « ان النظريات الحقوقية تقضي على ان يكون المتهم عند المرافعة

في حالة صحية يستطيع فيها الدفاع عن نفسه وتمنع محاكمة مريض بالمرض الذي يعانيه الفقيد كما اتضح جلياً من التقرير المنشور حيث قد ثبت ان الشيخ كان مبتلى بمرض شديد الوطأة لا يستطيع معه الدفاع عن نفسه ومساعدة المحكمة في ايصالها الى الحقيقة ، فلذلك استغرب الراي العام محاكمة الشيخ ضاري وتبليغه حكم المحكمة عليه وهو في حالته المعلومة » .

لم اقتبس هذا الكلام من حيثيات هيئة الدفاع في طلبها تأجيل الجلسة واحالة المتهم الى المستشفى وانما ذلك مانشرته جريدة الاستقلال بتوقيع « عراقي » بعد وفاة الشيخ ضاري وهو كلام يفي بالغرض الذي نحن بصدده او لعله من تعقيبات هيئة الدفاع بعد انتهاء القضية .

وطلبت المحكمة الى الدكتور دنلوب وهو طبيب انكليزي معاينة المتهم وتقرير درجة تحمله على الاستمرار في المحاكمة ، وبعد ان اجرى الطبيب الكشف المطلوب على المتهم وجده على حالة صحية تسمح معها على الاستمرار في محاكمته !!

ولا بد للمحكمة من ان تأخذ باقوال الطبيب المختص وهكذا واصلت عملها .

وفي هذه الجلسة كان الشيخ شارد الذهن كما لو ان هذا الامر لا يعنيه في شيء ... القضاء .. والاتهام والدفاع والمتفرجون في جانب وهو وحده في جانب .. لقد ضاق بكل ما يدور حوله .. جسده الواهي لا يكاد يتماسك حتى في جلسته تلك ، ليتهم ينهون هذه المهزلة باسرع وقت .. لقد كان بحاجة الى الراحة ... الراحة على الفراش ... في الموت . سيان ... المهم ان يتخلص من دوران الراس هذا ومن كل القرف الذي يثيره اللغو الذي يسمعه .. ماذا يمكن ان يفعلوا به لو اعترف بما تم حقيقة .. الاعدام ..؟ ليكن .. انه لم يعد يكترث حتى للمشنقة التي قد لا تحصل على شيء منه وفعلا لقد ذكرت احدى الصحف بان حكم المحكمة لم يستفد منه شيئاً بعد وفاته بيوم من صدور الحكم . وينتبه الى هيئة الدفاع وهي تسوق الحجج تلو الحجج لتبرئة ساحته فيلتزم هو الآخر جانب الحذر عندما يستطيع الكلام .

لقد امر فعلا بقتل ليجمن ذات يوم وكان امره جازما ولكن ساعته لم تكن قد دنت لانه لم يحضر الى حيث كانت تنتظره زمرة الموت . وفي اليوم الذي تم القتل فيه كان مترددا .. امر .. ثم سحب امره ... ثم ترك الموضوع للظروف .. وقد قضت الظروف بقتله .. وبعد ان تم القتل ارتاح كثيرا .. لانه استطاع ان يشعل الثورة في لواء الرمادي .. كانت عشيرته متحفزة للثورة وكان يكبح من جماحها لانه يعلم ان ليجمن عدوها اللدود وانه اذا فشلت الثورة فلن يترك فيها نفاخ النار وبالأحرى ان احدا لا يقدر على الثورة في المنطقة ما دام ليجمن موجودا فيها .

— والله يالربع قتلة ليجمن صارت خير ، فلو انه ما زال حيا لما قدرنا على الثورة .

قال ذلك وهو يرى (حربية) زوبع وتوابعها تصول وتجول في المنطقة المحصورة بين بغداد والفلوجة والكاظمية وسكة حديد سامراء..

والاكثر انه فكر في نقل عملياته الى بغداد نفسها .. لقد اخلوا له خان الكمبولي في الكاظمية ليكون مقرا لعملياته الثورية ولكن ذلك لم يتم .. كل تلك التضحيات ومرت ثمان سنوات والانكليز هم اصحاب الشأن في البلاد القاضي الاول في المحكمة التي تحاكمه انكليزي.. الطبيب الذي اجرى الفحص عليه ليقرر مدى امكاناته على الاستمرار في المحاكمة انكليزي .. اذا كان خصمي حاكمي كيف اصنع .. واخذ يقلب يديه ويتطلع فيها .. لقد أجهز بيمينه هذه على ليجمن بسيف يفل الحديد.. هذه اليد التي اتعبتها الاغلال والاصفاد بعد ذلك .

قبل ثمان سنوات ذهب الى كربلاء مع بقية زعماء الثورة وكان السيد محسن ابو طبيخ قد عين اول متصرف عربي للثورة على لواء كربلاء .. وفيها احتفلوا برفع اول علم عربي رفرف على ربوع الوطن منذ قرون.كانت الآمال عريضة دانية وكانت من الضخامة بحيث لا يمكن ان تسعها جميع بوادي العراق وروابيه وبينما كان جالسا في خيمة المتصرف دخل عليه الشيخ مرزوك العواد فما ان وقعت عينه على ضاري حتى اكب على يده يريد تقبيلها . سحب ضاري يده وهو محرج واخذ يتمتم بكلمات الاستغفار فقال له الشيخ مرزوك باستنكار .

— هل تريد هجمان بيتي ؟

— وما علاقة هذا بذاك

— لقد اقسمت بالطلاق والعتاق ان اقبل اليد التي صرعت ليجمن فامدد يدك .

ولكن ضاري رفض مد يده

« وعند ذلك قال الشيخ مرزوك — رئيس عشيرة العوابد :—

— اذن فامراتي طالق وهي ام لاطفال وسيكون الحاضرون شهودا على هذا الطلاق .

ولم يملك ضاري الا ان مد يده فقبلها مرزوك » .

وفي هذا الوقت كان الشيخ امجد افندي الزهاوي الفقيه الكبير والرجل المتزن المعروف،قد ضاق هو الآخر ذرعاً بالاوراق التي اعدتها هيئة الدفاع فوضعها جانبا .. واخذ يرتجل دفاعه نيابة عن الهيئة . وقد وصف في موقفه ذاك بانه لم يخرج عما دونته الهيئة في اوراقها . ولكنه تدفق حجة وسال بيانا واربى على ما كانوا قد كتبوه في اوراقهم وزاد ... ولابد ان الموقف قد هزه حتى تصرف علـى هذا النحو .

وتمنى المتهم ان ينتهي كل ذلك بلحظة وعلى اي شكل كان ...

فالحقيقة انه كان في ذلك الوقت على فراش الموت .. ولو انه في غير الظروف التي هو فيها وكان في داره لصح ان يقال : بان الشيخ تعبان وربما لا يبقى .. وعندها تتدفق سيول العشائر والشعب حول مضيفه ليتفقدوا صحته دقيقة دقيقة ويتداولوا اخباره واقواله .

ولكان رهطه في شغل شاغل به وبسيول العواد اولئك... ولكلفهم ذلك مجزرة تفتك فيها السكاكين بقطعان الابل والغنم يقرون تلك الوفود التي تفد من كل فج ويهتمون براحتهم ومبيتهم ؛ ولكن الواقع انه كان ملقى رمة بالية في قفص الاتهام وقد امعن رهطه في البـوادي والقفار خشية من السكاكين الانكليزية المسلطة على نحورهم .. والواقع ايضاً ان ملايـين القلوب كانت تهفـو الى تلك الرمـة البالية وكانت الآذان تتسقط اخبارها دقيقة دقيقة والذين يسعفهم الحظ يتذكرون بفخر انهم كحلوا انظارهم برؤية الشيخ ضاري اثناء المحاكمة .. وكان هـذا مدعاة فخر واعتزاز للرجل .

ساله رئيس المحكمة عن رايه بشهادات شهود الاثبات التي ادلوا بهـا ضـده . . .

فاجابه بتبرم وضيق :

كيف تقبل المحكمة شهاداتهم ! الواحد يقول لابس سيف .. والآخر يقول خيال ابيض والآخر اسود .. انا اليوم مريض أو رايح اموت.. ولا اعرف اطـول شهر واموت .. وختم كلامـه بمـا مضمونـه : افعلوا ما شئتم فلن ابالي بمـا تصنعون . لقـد شعر بتعب رهيب وانه وصل الى الحد الذي يستوي معه كل شيء .

كان ذلك في نهاية الجلسة الختامية اما في بدايتها فقد كان يقظاً حذراً في نقاشه مع هيئة المحكمة وقد استوعبت ذاكرته كل ما اوصته هيئة الدفاع بالادلاء به امام المحكمة فبدل امامهـا بعض افاداته التي ادلى بها امام المحقق في سنجار والموصل واعتذر باعذار مقبولة عن سبب هذا التغيير وحرص على الدفاع عن نفسه بدقة ووضوح واجاب المحكمة عن كل سؤال وجهته اليه حتى انه استطاع ان يرد رسالتين اتهم انـه وجههما الى الشيخ حردان ووقعت بيد السلطة المحتلة يستنهضه بهما للوقوف بوجه الانكليز بعد قتل ليجمن .. وقد أوضح للمحكمة انـه يعرف القراءة والكتابة والرسالتان ليستا بخطه ولا بامضائه وقد تعرف على امضائه الحقيقي بين أوراق المحكمة الاخرى ووضح الفـرق بين الامضاءين . ومن المؤكد ان الرسالتين كتبتا بأمره وهما بخـط كاتبه الملا زكي ولكنه انكر ذلك تماماً واحتج بأن بين عشيرته والدليم العشيرة التي يراسها حردان بغضاء ودماء وليس من المعقول أن يستعين على محنته بعشيرة معادية . والحقيقة ان العداء بين العشيرتين كان مشهوراً وقد سالت الدمـاء بينهما فعلا بسبب أفراس نهبتها كـل عشيرة من الاخرى الا انه تمت تسوية الخلاف بين القبيلتين بسنين كثيرة قبـل الاحتلال حتى ان الشيخ حردان عندما عاد من منفاه الذي نفاه اليـه الانكليز في بداية الاحتلال ووصل الى ديرة زوبع في طريقه الى اهلـه وعشيرته صرفت زوبـع السيارة بعد ان دفع الشيخ ضاري لسائقها مبلغ مائتين وخمسين روبية وعادت بالشيخ السجين الى ديرته بموكب عشائري ضخم .

وحول حادثة النقطة صور ضاري الموضوع كما لو ان القتل جرى نتيجة رد فعل آني انتاب ابنه سليمان وابني اخيه بعد أن رأوا لجمن يهين كبيرهم .

— «السبب انهم راوني محبوساً وهم جهال ويمكن حدث بينهم وبين الكولونيل شيء فقتلوه وصار ما صار .»

— انت تعرف السبب لماذا قتلوه ؟

— السبب اذا كان هناك سبب فهذا هو السبب الكولونيل سبني وبصق في وجهي ودفرني واشهر المسدس علي ولا ادري بعد .

وعن مجيئه الى النقطة لمواجهة ليجمن مع عشرين مسلحاً من اولاده وخاصته وخدمه مما يمكن أن تستدل منه المحكمة على ان ضاري قد بيت نيته على قتل حاكم (لواء الرمادي) قال :

— كان بعضهم مسلحين وبعضهم غير مسلحين ، وكل ما نستقبل الحكام يكون بيننا من يحمل السلاح للاستقبال .

وساله احد القضاة في موضع آخر

— اذا لم تفعل شيئاً فلماذا هربت الى الخارج وسافرت الى ماردين؟

— خفت من سطوة الحكومة ، لاني بعد هذا صرت من افراد الناس بينما كان كلامي مسموعاً بصاية الحكومة .

وقد حاول التنصل من دم حسن الخادم وكان قد امر احد اتباعه بقتله عندما كان المذكور مع الشبانه في طريقهم الى الفلوجة .

— ماذا جرى لحسن وقد شهد عليك الشهود انك قتلته ؟

— حسن ..؟! انا لا اعرف من قتله ولم اسمع انه قتل في ذلك الوقت.

وفي قوله انه « لم يسمع انه قتل في ذلك الوقت » الحذر الذي اشرنا اليه سابقاً والرغبة في الدفاع عن النفس ذلك لانه على ما يظهر قد اتفق مع المحامين على وجود شهود راوا حسناً هذا في الفلوجة بعد قتل ليجمن وبهذا لا يكون قد قتل اثناء حادثة ليجمن وبالتالي فان

الشيخ بريء من دمه . وقد عزز محامو الدفاع اولئك الشهود بقولهم "ان احداً لم يعثر على جثته في المنطقة بحيث يمكن ان يقولوا ان هذه هي جثة حسن اضافة الى ان ذويه لم يتقدموا بادعاء شخصي للمطالبة بدمه ان كان قد قتل فعلا ، فماذا يحدث لو ان المحكمة حكمت على الشيخ ضاري بزعم انه قتل حسناً الخادم ثم ظهر في هذه المنطقة او تلك .. في يوم ما وهذا مالا يستبعدون وقوعه ؟ .

المحامي ياسين قدوري (يخاطب القضاة) : نسترحم جلب شهود الدفاع الاربعة (الذين راوا حسن في الفلوجة عشية قتل ليجمن) فان قسماً منهم في الرمادي وقسماً في الفلوجة ، ونحن نحضرهم اذا تامرون بالتاجيل الى يوم السبت والشهود هم : حسين الحداد ويعقوب البطي وعلي الاحمد وعبدالله الخلف ونحن نحضرهم وفي تكليف الشرطة.

قلت للشيخ خميس الضاري اثناءمقابلتي له : وماذا عن حسن الخادم

فقال لي : اي خادم تعني ؟

— الذي كان يرافق ليجمن في غدوه ورواحه .

— لم يكن في الحقيقة خادماً بل هو جاسوس .

ووصفه الشيخ سليمان ، انه شاب امرد . ابيض احمر حلوة تقاطيع وجهه كثير الاناقة في لباسه العربي يناهز الثامنة عشرة من عمره يلازم ليجمن مثل ظله دون ان يكون له عمل معين .

— هل يمكن ان نستنتج من هذا الوصف بانه كان على علاقة غير مشروعة بالرجـل ؟

فابتسم الشيخ ـ الذي اشتهر بشدة ورعه وتقواه ـ بحياء وغض من بصره وكان قد فرغ لتوه من صلاة العصر وحاول ان يقول شيئاً الا انه عدل عن ذلك .

وبالرغم من انني كنت استطيع الاكتفاء بمضمون هذا الجواب الا انني الححت عليه في اعطاء جواب اكثر وضوحاً فقال باقتضاب :

— اظن ذلك واستغفر الله .

وردت على خاطري الكتابات التي نشرت مؤخراً عن شذوذ لورنس ، لشد ما يتضح التشابه بين الرجلين .. فكلاهما لعب دوراً خطيراً في حياة العرب السياسية سوى ان لورنس استوفى مداه اما ليجمن فان الشيخ ضاري اجهض ما كان قد حبل به ... قبل الولادة .. ومع ذلك فقد اعتبره بعض الكتاب الانكليز بانه الشخص الاكثر تأثيراً في صنع السياسة البريطانية في البلاد العربية وقد رد ايرلند هذا القول .

ذكر بعض الشهود في المحكمة ودون بعض الكتاب والانكليز منهم بصورة خاصة اقوال ليجمن الاخيرة بعد اصابته في نقطة ابي منيصير وقبل ان يجهز عليه ضاري بالسيف .

« بزي ضاري ... يكفي ضاري ».

او انه قال له .

— لماذا قتلتني يا ضاري انني لم اضرك بشيء .

وقد سالت الشيخ سليمان عن ذلك فاجابني « ان الرصاصات التي اصابته كانت قاتلة ولم ينبس ببنت شفة منذ اصابته الاولى حتى موته » ولكنني يمكن ان اتصور اية نظرة حقد استوعب بها الكولونيل قتلته قبل ان يختتم انفاسه الاخيرة ... هؤلاء الذين حالوا بعملهم دون اكاليل الغار التي كان ينتظر ان تعقد على جبينه وهو يصنع امجاد الامبراطورية البريطانية .. وحالوا بالتالي دون الادوار الخطيرة التي كان من الممكن ان يلعبها في بلاد العرب وهو الذي قد تفقه مثل لورنس في دروس عمله وكد نفسه في جمعها واستيعابها.وهنا يجب ان نقف قليلا لنرى ان ما حدث في نقطة ابي منيصير ضمن اليوم الثاني عشر من آب 1920 لم يكن بصفة انفعالات عصبية انتابت زوبع ورؤسائها فقتلوا الذين قتلوهم شفاء لانفسهم او انهم كانوا قبائل نصف متوحشة كما يحلو للقادة الانكليز ان يصفوا الجموع العشائرية التي نازلت جيوشهم في (ثورة العشرين) رغبة في السلب والنهب والغنائم ، وانما تم الذي تم عن وعي وشعور بالمسؤولية امام الله والشعب عميقين .

لقد قتلوا ليجمن وكانوا قد قرروا قتله منذ اشهر وبيتوا له ذلك في نفس الوقت الذي ارسل في طلب ضاري نهار الحادي عشر من آب . وقتلوا سائقه الهندي وهو القتيل الثاني بعد ليجمن ، وحول هذا يقول عميد الشرطة عبدالجبار عباس الجسام ضابط الشبانة في نقطة ابي منيصير يومئذ « وفي مدخل باب المركز شاهدت سيارة الحاكم هناك على مقربة من الباب ولاحظت سائقها الهندي مقتولا وملقى على الارض الى جوار السيارة ، وكان الشيخ خميس يوجه اللوم الى اخيه على قتل هذا السائق اذ كان يقول له : ما ذنب هذا الرجل المسكين ، وما هو الموجب لقتله ؟ وما كان من الانصاف ان تقتلوه . اما سليمان فقد سكت ولم ينبس ببنت شفة » .

ويتفق السيد عبدالجبار الجسام في جل كلامه مع الشهادات التي تقدم بها الشهود امام المحكمة بهذا الصدد، ولكنهم ـ الشهود ـ يختلفون معه في نقطة واحدة هي انهم ذكروا ان سليمان لم يسكت على تقريع اخيه وانما اجابه بقوله :
ـ انني لم اقتل السائق وانما قتله العبد الملعون .

ومن ذلك نرى انهم لم يريدوا مس سائق سيارة ليجمن بسوء وانما قتل نتيجة تسرع أحد الخدم والحق انني رايت الحاج سلمان متأسفاً على قتل السائق بعد سبع وخمسين سنة من الواقعة ، ولا بد من ان اشير هنا الى اننا سوف ناخذ اقوال عميد الشرطة عبدالجبار الجسام فيما يتصل بالشيخ سليمان الضاري بحذر بالغ وسنأتي على تفصيل ذلك .

ثم قتلوا حسن الخادم وقد تم قتله بطلب من الشبانة الذين كانوا يخشون وصوله معهم الى الفلوجة .

اما الشبانة وكان عددهم نحو عشرين شرطياً فقد جردوا من بنادقهم وخيولهم فقط لان تلك العدد الحربية صارت حقاً طبيعياً للعشيرة التي اعلنت الثورة في تلك الساعة بوجه الاحتلال وقد ترك الشبانة لشأنهم بعد ان امنوا على انفسهم ولاسيما انهم لم يبدوا رغبة في المقاومة حتى ان حسن الخادم توعدهم شراً في طريقه لانهم اسلموا سيدهم من دون ان يدافعوا عنه مما استدعى ان يلتجئوا الى الشيخ ضاري نفسه

للتخلص من حسن ومن توعده لهم في الايقاع بهم لدى السلطة . وعنهم يقول عبدالجبار الجسام : « ثم التفت الى جنودي واستوضحت منهم عما اذا كانوا يرغبون في الذهاب معي الى الجهة التي اقصدها ام انهم يريدون ان يسلكوا الطريق العام المؤدي الى الفلوجة فاظهروا رغبتهم في الشق الثاني بعد ان اطمأنوا من نوايا الشيخ خميس الضاري نحوهم وبعد ان عرفوا كافة مواقفه الطيبة التي وقفها في هذه المناسبات » .

واخيرا يجدر بنا أن نذكر ان زوبع اغلقت الطريق العام بوجه حكومة الاحتلال وامنته للسابلة اثناء ثورتها خيراً مما كانت حكومة الاحتلال قد امنته لهم .

ومهما يكن فبعد ظهر يوم 31 كانون الثاني صدر الحكم على الشيخ ضاري بالاعدام شنقاً حتى الموت وقررت المحكمة بالاكثرية تبديل عقوبة الاعدام المفروضة على المحكوم المذكور بالاشغال الشاقة المؤبدة اعتباراً من تاريخ توقيفه المصادف 3 تشرين الثاني 1927 وذلك للاسباب الآتية :

اولا : المحكوم عليه طاعن في السن

ثانيا : تغيبه عن محله ثماني سنوات وبقاؤه مضطربا خلال هذه المدة واعتلال صحته وابتلاؤه بمرض شديد لحقه .

كما قررت بالاتفاق الحكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة على ان تنفذ العقوبتان بالتداخل .

واول ما نلاحظهعلى نص الحكم ان المحكمة اعترفت فيه باعتلال صحة المتهم وابتلاؤه بمرض شديد لحقه .

وذكرت جريدة الاستقلال ان محاكمته كانت تجري « برغم الحاح محاميه على ارساله الى المستشفى والاعتناء بصحته غير ان السقم قد اضنى جسده في آخر ايامه وكان منظره ــ في المرافعة الاخيرة التي نطقت فيها المحكمة الكبرى حكمها ــ مؤلما للغاية حيث انه كان في درجة لا يستطيع فيها الجلوس في قفص الاتهام ولا ان يرفع راسه » .

اثناء ثورة العشرين قتل من الانكليز عشرات الضباط قد ينيفون على المائة وقتل لهم مئات الجنود قد ينيفون على الالف وجرح واسر وفقد

منهم اضعاف ذلك فقد قضى الثوار على عدد من جيوش الاحتلال في عدد من المعارك النظامية في الرستمية (الرارنجية) والعارضيات وتلعفر .. وغيرها من ميادين القتال واتلفوا لهم عشرات القطارات المدرعة والبواخر الحربية بما فيها ومن فيها وسيطروا على حامياتهم في عشرات المدن فأبادوا بعضها واسروا البعض الآخر وطردوا الحاميات التي لم يبيدوها او يأسروها، وعندما قرر الانكليز انهاء سياسة التهنيد في العراق وانتهاج سياسة جديدة للتخلص من الثورة اصدروا بيانا يعلنون فيه العفو العام عن المجرمين السياسيين ويعمل به ابتداء من 30 ايار 1921 ويشمل جميع الذين كانت لهم يد في (فتنة) سنة 1920 وذلك فيما يخص الجرائم التي تعد مرتكبة ضد الحكومة ومساعدة على (الفتنة) .. فيطلق سراح المسجونين والموقوفين ويؤذن للشاردين بالرجوع ولا خوف عليهم من ان يحاكموا .

وقد استثنى البيان من العفو

1 ـ الافراد الذين عند اشتراكهم في (الفتنة) كانوا موظفين بالاجرة في ادارة المناطق المحتلة فهؤلاء ينظر في امر كل منهم على حدة حسب استحقاقه

2 ـ الافراد المذكورون فيما يلي المعتقد انهم مسؤولون عن اقتراف بعض الجرائم الشنيعة او التحريض على اقترافها وهم الآن شاردون من وجه العدالة :

ا ـ الشيخ ضاري وولداه خميس وسليمان ، وصعب وصلبي ولدا مجباس و دحام بن فرحان ، وجميع هؤلاء تابعون لعشيرة زوبع وجميعهم متهمون بقتل الكولونيل ليجمن او التحريض على قتله

ب ـ جميل بك[1] وحميد افندي الدبوني المتهمان بالتحريض راسا على قتل المرحومين اليوزباشي بارلو والملازم ستيوارت وغيرهما من الموظفين البريطانيين في تلعفر

جـ ـ جاسم الويلي من عشيرة المهدية المتهم بقتل المرحوم اليوزباشي ريكلي

---

(1) جميل الخيال ، صاحب واقعة تلعفر ، هرب الى تركية ومات فيها ، وقد اشتبه بعض المؤرخين بين اسمه واسم السيد جميل المدفعي الذي كانت له يد هو الاخر في واقعة تلعفر .

د ـ محمد الملا محمود من البحاحثة المتهم بقتل المرحوم الملازم برادفيلد وحسن العبد وجاسم العوض من عشيرة بني تميم المتهمان بقتل المستر بوكانن

هـ ـ ناصر بن اريفص وعلاوي الجاسم وابن اريميدي والثلاثة متهمون بقتل بعض الاسرى البريطانيين .

و ـ بسبوس بن محاويس ونعمة بن ضمينة وكلاهما من عشيرة الجوابر ومتهمان بقتل بعض ضباط سلاح الطيران الملوكي

ز ـ فالح بن الحاج صفر الاعجيرب من عشيرةالجوابر والمتهم بالتحريض على قتل الملازم هدكار وخمسة من رجال المدفعية البريطانيين على المركب كرين فلاي .. الخ .

وبعد هذا العفو كانت السلطات تصدر عفوا خاصا بين حين وآخر عن بعض الذين استثناهم العفو العام حتى اننا لا نكاد نعلم ان السلطة اقتصت من احد من الثوار بعد انتهاء الثورة غير الشيخ ضاري مع انها اصيبت بفواجع غير يسيرة في القضاء على خامياتها في تلعفر وشهربان والكثير من مدن الشمال .

وهكذا سيق الشيخ « المجرم » الى السجن بعد ظهر يوم 30 كانون الثاني 1928 ولكنهم ما لبثوا ان عدلوا به الى مستشفى السجن وتذكر جريدة العراق انهم هناك شرعوا بمعالجته فورا « وجعلوا له مسجونين من الزوبع عشيرته خداما له ، فاخذ هؤلاء الخدم يخدمونه احسن خدمة ويحيطونه بكل اهتمامهم وعنايتهم ولكن المرض ما زال يشتد به ويهد بنيان قواه حتى تركه قاعا صفصفا » .

وسالت الشيخ سليمان الضاري عن الزوبعيين المساجين الذين كانوا بخدمة والده وهل التقى بهم فقال

بعد ان عدت من المنفى الى العراق علمت بان الزوبعي الذي تبرع لخدمة والدي في مستشفى السجن هو علي بن شكير .. فقد قدم نفسه لوالدي نعرفه واذن له بخدمته ، وسمعت عن علي بن شكير هذا الذي كان قد توفي قبل عودتي الى العراق ان والدي دخل المستشفى اول ما دخلها على نقالة وكان صاحيا تماما فاستقبله

الدكتور دنلوب وطلب منه ان يسمح له بمعالجته وذلك باعطائه حقنة ولكن الشيخ ضاري نهره وطرده طردا قبيحا الا ان الطبيب اصر على اعطائه الحقنة وهكذا كان فلم يلبث بعد دقائق ان اخذ يغيب عن الوجود ولم يستعد وعيه حتى استوفى اجله . وذكر كذلك انه كان يحادث أشباح الاموات من اهله اثناء غيبوبته وعند النزع وقد سمعوا صوته وهو يرحب بهم ولا سيما والده الذي اكثر من الحديث اليه .

وعندما غابت شمس نهار يوم 31 كانون الثاني 1928 بدات امارات الموت ترتسم على محياه . وتروي جريدة الاستقلال ان دائرة السجون ابلغت زوجته التي كانت في بغداد أن تحضر احتضاره ...

وفي الساعات الاولى من صباح اليوم الاول من شباط 1928 كان يردد :

« اني ارى طروش الموت جاؤوا ياخذون امانتهم »

وقد اتم الملائكة الكرام استعادة امانتهم من جسد الشيخ ضاري في الساعة الرابعة والنصف من فجر اليوم الاول من شباط وصعدوا بها الى بارئها راضية مرضية اما جريدة العراق فتقول انه بقي حاصلا على قواه العقلية حتى لحظاته الاخيرة ...

بقي ان نذكر ان الدكتور دنلوب .. ذلك الذي اجرى الكشف على المتهم المريض قبل يوم ونصف من وفاته وقرر ان باستطاعة المحكمة الاستمرار على المرافعة كان احد اربعة اطباء اشرفوا على تشريح جثة المتوفي وقد ظهر فيها .

الرئة اليسرى : تحتوي على كهف واسع ناشيء عن تدرن مع التصلبات عضلة القلب : باهتة اللون ورخوة وكان يوجد فيه شحم اكثر مما هو في الحالة الطبيعية . وكان يوجد في الابهر علائم التصلب الشرياني .

كان القولون محتويا على قروح ناشئة عن الديزانتري .

وحول هذا الطبيب قالت جريدة الاستقلال في العدد الخاص الذي اصدرته بمناسبة وفاة ضاري مجللا بالسواد بنبرة لا تخلو من تهكم

« ولكن المحكمة كانت قد ارسلت على الطبيب الانكليزي دنلوب وسمح لها ان تستمر في محاكمتها له . وليس لنا حق الاعتراض على ملاحظة الطبيب المومى اليه لانهافنية، والمسائل الفنية لا يجوز الاعتراض عليها... ولكننا نقول للطبيب الانكليزي الماهر ان الشيخ ضاري قد مات بعد يوم من معاينته له وسماحه للمحكمة في محاكمة الشيخ العليل » .

ولا اعرف بالضبط ما هو موقف الطبيب المذكور من مهنته بعد هذا الحادث كما لا اعرف كيف اصبحت ثقة الناس به...الحقيقة ان الموقف حرج تماما بالنسبة لانسان مهذب .

اما قضية اغتيال ضاري في السجن التي المعنا اليها انفا فقد وردت بصورة تلقائية الى ذهن الجماهير اثر ميتته بعد وصوله بيوم واحد الى السجن وما يزال الناس يتحدثون بها الى يومهم هذا .

كانت سماء بغداد صباح اليوم الاول من شباط 1928 زرقاء صافية واشرقت الشمس كما لو لم تشرق هكذا منذ مدة تبعث الدفء والنور في اوصال شتاء كان قاسي البرد غزير الامطار .. اما المدينة فقد كانت متحفزة ... الانتداب يعبث بمقدرات العراق كما يعبث القوي بالضعيف عادة ... معاهدات غير متكافئة .. نهب لثروات البلاد ... هيمنة اجنبية على الوظائف والمرافق الحساسة والى جانب العراق سوريا ترزح تحت وطاة الحكم الفرنسي واخذ السكين الصهيوني يحز في رقبة فلسطين والسياسي الانكليزي الصهيوني السر الفريد موند يزمع زيارة بغداد .. اغلب اقطاب الثورة تصالحوا مع دار الاعتماد فاخذوا يتقلبون بالثراء والمناصب العليا وصار بعضهم اداة حقيقية بيد المندوب السامي ... في تلك الظروف قرع نعي ضاري اسماع الجماهير ... « كان يقول احدهم للآخر ... مات ضاري » ابرز ثائر بقي مخلصا لمباديء الثورة . وقد ترك الناس ما قد خرجوا في سبيله ذلك الصباح « وتكاثر ازدحامهم حول ابواب السجن والمستشفى » . وقد سبق محامو الفقيد الناس الى السجن وطلبوا تسليم جثته الى زوجته التي تعهدت بالقيام بواجباته ، فاجيبوا بان الجثة ستصل الى زوجته بعد ان ترسل الى المستشفى لاعطاء التقرير النهائي بشانها . وفي تلك الاونة

ازدحم الناس على باب السجن وارادوا حمل الجثة على الأكتاف غير انهم وعدوا بنوال مرادهم بعد الفحص الطبي على الجثة .

وقد احضرت سيارة خاصة على الفور وحملت الجثة الى المستشفى فتبعها الناس . . . وقد ظلت الجثة مطروحة في محل المعاينة حتى الساعة السادسة عربية . وبعد مراجعات عدة ومحاورات بين اطباء المستشفى المحامي المتهم تبين ان مخابرة دائرة بين المستشفى والمراجع المختصة بضبط الأمن العام حول تسليم الجثة أو عدم تسليمها .

وفي تلك الأونة حضرت سيارة تقل مدير شرطة بغداد حسام الدين (جمعة) وقد اخبر بانه كان مكلفا بعدم تسليم الجثة الى زوجته في المستشفى وانما تنقل بسيارة خاصة الى مرقد الشيخ معروف وهو المرقد الذي حفر فيه قبر الفقيد حفظا للنظام العام .

عند ذلك التمس محامو الفقيد من حضرة المدير أن يؤخر حمل الجثة في السيارة ريثما يراجعون (سعادة) متصرف بغداد لان أبناء الشعب مصممون على التبرك بحمل جثته على الاكتاف ، وبعد أن غادر المحامون مولين وجوههم شطر مقام المتصرفية نفذت الشرطة التعليمات الصادرة اليها بشأن نقل جثة الشيخ بالسيارة ، وبينما الشرطة تحمل الجثة وتضعها في السيارة التي احضرت خصيصا لهذه الغاية ، اذ هجم المجتمعون واختطفوا الجثة .. اختطف الشعب جثة فقيده وسار بها في الشارع العام .

وقد كان الموكب مؤلفا من مائة الف نسمة وكلما سار الى الامام انضمت اليه جماعات اخرى تتابع من جانب الكرخ ومحلات الرصافة» . وقد سار النعش بين «الهوسات» وزغردة النسوة وتصفيق الجماهير وهتافهم من باب المعظم الى جسر الاحرار وقد عبر عليه الى جانب الكرخ ليمر من امام دار الاعتماد ومن هناك يتجه الى الجادة العامة المؤدية الى ترام الكاظمية فدار زوجة الفقيد وقد لبث النعش في الدار يسيرا حمله الشعب بعدها الى مقبرة الشيخ معروف .

«وكان من أثر التصادف ان وصلت السيارة التي تقل المندوب السامي الى جانب الكرخ عابرة من الرصافة على الجسر الصغير .. في حين وصلت فيه طلائع الموكب وكان الموكب ممتدا من الجسر الصغير

الى جسر (مود) ومزدحما بالخلق ولما كان من المتعذر مرور سيارة او مركبة في هذا الطريق فقد احسن جناب المندوب السامي بأمره سائق سيارته بالرجوع الى الرصافة ريثما يمر الموكب باكمله .

ولا بد ان (فخامة) المندوب السامي ساعتها كان يتميز غيظا وهو يستمع الى عشرات الوف الحناجر هاتفة وهي تتهادى بجنازة الشهيد الشيخ الذي هز لندن وابكاها .

2

اما ليجمن هذا فقد كان رجل الاحتلال القوي وعقله المدبر وركنه المكين الذي يستند اليه في الشدائد والملمات ، وغيابه عن الساحة العراقية بعد مصرعه في شهر آب 1920 الذي يمكن اعتباره بانه الشهر الثالث عشر في شؤمه على القوات البريطانية في وادي الرافدين كان بمثابة كارثة حقيقية نزلت بسلطات الاحتلال ، حتى لقد استوحى منها الفريق السر الرهولدين القائد العام للقوات البريطانية في العراق وباستسلام يدعو الى الرثاء قوله : « انها لتوحي للمرء بان الله لا يقف بجانبنا » .

وكوارث شهر آب كما عرضها الفريق هولدين في ثنايا بحثه عن قتل ليجمن فهي :

« . . . ان هذه المنطقة مسؤولة بالاضافة الى قتل الحاكم السياسي عن احدى الفاجعات العديدات التي حدثت بين العاشر والخامس عشر من آب . لقد تتابعت انباء هذه الفاجعات وسنعرض الي وصف بعضها في ابانه ، وكانت تتوالى ولا تتولى ، فاليوم مغبر وغده مكفهر ، ففي اليوم العاشر من الشهر الجاري وردت الانباء بان الباخرة كرين فلاي قد استوت على الارض ، وفي الحادي عشر حدثت واقعة تلعفر الغامضة ، ثم جاءت النكبة التي حلت برتل العميد يونك ، والفشل الذي مني به امر القاء القبض على بعض المتطرفين (كذا) ببغداد ، وقتل العقيد ليجمن ، وفي الثالث عشر منه خسرنا محطة سكة حديد الخضر وقطارين مسلحين وعزلت السماوة وحاميتها من جهة البر ، وفي الرابع عشر منه حدثت مذبحة البريطانيين في شهربان ، وفي الخامس عشر خسرنا بعض البواخر في الفرات الأعلى . والنكبات لا تأتي منفردة الا لماماً وسلسلة النكبات هذه ليست الا تتمة

لكارثة «رتـل مانجستر التي حدثت قبلها بعشرة أيام (يريد معركـة الرارنجية المشهورة) ...» . انتهى كـلام الفريق هولدين . . هكذا كانوا يكتبون عندما ينتهي مؤلف من نقل كلام مؤلف آخر ، أما الفواجع التي حلت بالانكليز فانها لم تنته عند الحد الذي اشار اليه الجنرال هولدين ولا كان استواء الباخرة كرين فلاي على الارض بدايتها وانما اصابتهم نكبات عسكرية اخرى قبل سلسلة النكبات التي عرضهـا القائد العام وبعدها اشد مضاء وابعد أثراً مما ذكره والظاهر انه تذكر تلك الكوارث أثناء عرضه لمقتل ليجمن وعنه يقول : «ان فقدان رجل كهذا وفي مثل هذا الوقت ضربة نزلت بكل واحد منا ، فلقد كان الرجل على جانب كبير من الشجاعة والنشاط ، وكان يعرف البـلاد وأهلها حق المعرفة . لقد اسهم في جميع المعارك الرئيسية التي دارت رحاها في العـراق من واقعة الشعيبة 1915 حتى تسليم الموصل من قبـل الاتراك 1918 . ولقد استطاع أن ينجـو من حصار الـكوت الخانق ، اذ غادرها مع الخيالة بعد ساعات من تطويقها» .

والذي يعرف هولدين وشدة نقمته على حكام الانكليز السياسيين في العراق الذين اعتبرهم من الاسباب المهمـة المباشرة لنشوب ثورة العشرين في العراق بعجرفتهم وقلة خبرتهم في تصريف الامور وسياسة الناس وجهلهم بطبيعة الشعب الذي قدر لهم ان يحكموه يدرك المدى الحقيقي لقوله ـ ان فقدان رجل كهذا ... ضربة نزلت بكل واحد منا ـ

اما الشخص الثاني الذي نزلت عليه الضربة ولكن بوقع اشد من وقعها على هولدين فهو : السر أي . تي . ويلسن وكيـل الحاكم الملكي العام الذي كان يحلم منذ مدة طويلة «بتشميل جهازه الاستعماري على جميع بلاد الشرق الاوسط» كما يرى سنت جون فلبي فقد اعتبر «وفاة ليجمن ضربة قوية له شخصياً» «لاني كنت اعرفه منذ سنة 1904 وكنا على اتصال وثيق منذ شهر نيسان 1915 ، وكان كمابينت آنفاً شخصية مرموقة في جميع انحاء العراق التي تتكلم العربية ، فقد جعلت من اسمه ـ شجاعته الشخصية وخفته في الحركة ومعرفته الوثيقة بمن يتعامل معه من الناس ـ شيئاً مالوفاً لدى العرب» .

وبعد ذينيك الألهين تأتي مناة الثالثة الاخرى ، المس بيل ، والتي اطلقوا عليها في بغداد سخرية من العملاء المحليين الذين كانوا يلوذون

بها لقب «أم المؤمنين» وكانت تشغل منصب السكرتيرة الشرقية وهي التي اسهمت في صنع عراق العشرينات اكثر من سواها فقد كتبت الى ابيهـا ان «اسوأ خبر من اخبارنا ــ على سوء الاخبار التي اوردهـا هولدين ــ هو ان الكولونيل ليجمن قد نصب له كمين وقتل فيه وهو في طريقه من بغداد الى الرمادي ... لقد كان مسيطراً على الفـرات بمفرده بواسطة العشائر ، بعد أن سحبت من هناك جميع القوات ، ونحن لا نعلم ماذا سيحدث في تلك المناطق مستقبلا» .

والطبقة الثانية التي سنورد آراءهـا في تقييم ليجمن وتحديد مركزه في جهاز الاحتلال وقد رافقته في العمـل وعاصرته في الظرفية السائدة يومها تتالف من : ضابط الشبانة العراقي (مفوض الشرطة) في نقطة ابي منيصير عبدالجبار عباس الجسام (الجميلي) وقد تدرج في مسلك الشرطة العراقية بعدها حتى وصل الى رتبة عميد «زعيم»» وكان يشغل منصب مفتش شرطة عند احالته على التقاعد عام 1950 فقد لاحظ ان «للحاكم ليجمن منزلة محترمة بـين رجالات الانكليز مدنيين كانوا أم عسكريين ، وقد دلتني الحوادث على احترامهم له ، وكان هذا الاحترام يفوق حـد التصور بحيث لم يكن مألوفاً في طباع الانكليز ، ولا كان ذلك من اخلاقهم ، وكان ليجمن في الوقت نفسـه أهلا لهذا الاحترام ، اذ انه رجل وقور وذو شخصية مؤثرة ، وكان شديد الرغبة في التنقل والتجوال لا في جهة معينة او محل خاص» . وبسبب رغبته في التنقل والتجوال وخبرته الواسعة بالصحـراء وصفته المس بيل بأنه كان يقود الغزوات العشائرية احسن من شيوخ البدو انفسهم .

ويذكر المقدم براي الحاكم السياسي البريطاني في كربلاء في كتابه «بطل من الجزيرة العربية» الذي اصدره عام 1936 ان ليجمن عندما أراد مجابهة ثورة «العكيدات» في اعالي الفرات استنجد باصدقائه من عشيرة عنزة أن يمدوه بقوة .. وقد تولى القيادة بنفسه فقطع في ليلة واحدة ستين ميلا ثم باغت الثوار عند الفجر .

ولما اضطر احد الارتال الانكليز على التراجع قاد ليجمن التراجع ولكي يجنب الرتل ضربات عشائر قوية وجيدة التسلح حاد بالرتل عن الطريق المطروق وسلك به آخر لا يعرفه احد سواه ...

وكان دائب الحركة لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال وقد سخر بمرارة في احدى رسائله الى اهله من رجاله الشبان الذين لم يقدموا له مساعدة من اي نوع كان ... «ليس لدي ضباط ، ولم احصل على اي شيء طلبت الحصول عليه ، في هذا الوقت الذي كان فيه السادة الشبان يحتسون اقداح الشراب في النادي» .

وعن طبيعة عمله يذكر عبدالجبار الجسام بانه «كان يقوم في عهد الاحتلال بالاعمال الخطرة» لكن دون ان يحدد لها شكلا خاصاً شأن غيره من الحكام السياسيين «لان مهامه لم تقتصر على وظيفة حاكم سياسي او انها محصورة في جهة معينة او محل معين وانما كانت تشمل كل جهة من جهات العراق» .

ويزعم ارنست مين كذلك «ان ليجمن استطاع لوحده ان يحافظ على الهدوء والسكينة دون ان يكون لديه ما يصرفه للرشاوى والمنح اي فلس في ظروف الثورة هذه بينما انسحبت جميع الجيوش من منطقته» لمجابهة الثورة في المناطق الاخرى بطبيعة الحال . اما ايرلند فيقول عنه بانه «كان يسيطر على مسافات شاسعة من الديار العشائرية لوحده تقريباً في اكثر الظروف امتحاناً لقابلياته بروح جموح لا تقهر» ولكنه رد راي براي ومين الذي ذهبا فيه الى ان ليجمن «كان قد ساهم في سياسة بريطانيا العظمى العربية اكثر من اي شخص آخر» بقوله : ان ليجمن «رغم كونه رجلا ذي مواهب عظيمة وانه من حفظة الامن الممتازين في المناطق العشائرية فان عمله كان اقل ابداعاً في كنهه واقل ثباتاً في اهميته من الاعمال التي اتخذت في بلاد العرب الغربية» . وقد نوهنا في القسم الاول من هذا البحث الى ان ليجمن لم يتيسر له قطع شوطه كاملا ولو ان حادثة ابي منيصير وفرته لكان له شأن اي شأن في صنع السياسة البريطانية في العراق والخليج العربي .

فلقد عرف العراق معرفة وثيقة قبل ان تنشب الحرب العامة بنحو سبع سنين ، حيث عاش في مدنه وقراه وجاب بواديه وتسلق ذرى جباله السامقة وانحدر في وديانها السحيقة وحط رحاله في منازل الاعراب واتخذ له مكاناً متواضعاً بين امتعة المسافرين على المراكب البخارية الجارية في دجلة والفرات ، وهو في اثناء كل ذلك يجمع

المعلومات ويدرس الاحوال عن كثب ويختلط بالناس من مختلف الطبقات ويفحص كل ما يقع تحت بصره او يدخل في علمه بلمحن وقاد وبصيرة نافذة ، يفعل هذا بشخصيته الحقيقية او تنكراً .

ولا بد انه قد استفاد من تقارير ضباط المخابرات البريطانيين الذين سبقوه الى العمل في بلاد ما بين النهرين ، وهي تقارير كما تبدو لنا الآن على جانب كبير من الدقة وشمول كافة التفصيلات التي تعني دولة ادخلت في حسابها ضم تلك البلاد الى ممتلكاتها لاسباب ضرورية حيث احاطت بصفة كل شيء واحصته عدداً ، مع ما اتسم به ليجمن من المعية وفطنة وشدة مراس وقوة جنان وسرعة الحركة والمثابرة عليها، كل ذلك اعده لان يكون المع جندي بريطاني في العراق خلال فترة الاحتلال وما بعدها . وقد نعته وزارة الحربية البريطانية بقولها : «انه رجل اقوى من الصعاب ، وانه يستطيع السفر والعيش دونما شوق الى وسائل الراحة التي وفرتها للانسان حضارة الغرب . وانه كان معتداً بثقافته الاوربية التي ساعدته على وزن الحضارة الاجنبية بميزان دقيق ، وكان قادراً على مشاركة القبائل مشاركة وجدانية في تقاليدها الثابتة وعلى العيش عيشة عربية بالرغم من تشبثه بتفكيره الخاص» .

وبذلك الكلام تحدد وزارة الحربية الانكليزية مواصفات الجندي الناجح الذي ينشيء الاستعمار ويرسي اسسه ثم يقيم قواعده وينهض باعباء البداية ، فهو الذي يتحمل المشقات في البلاد المفتوحة ويندمج بسكانها مهما كانت درجتهم على سلم الحضارة دون قرف ودون الحنين الى الترف الذي توفره له مدنيته مع اعتزازه بثقافته واعتداده بها وهذا الاعتداد هو الفاصل بينه وبين اهالي البلاد الاصليين وهو الذي يولد عنده ارادة التصرف بهم بعيد ان يكونوا طوع يديه بسبب الالفة التي وقعت بينه وبينهم .

لقد تركت حياة ليجمن في فترة الاستعداد تلك الكثير من القصص والاساطير الى حد يصعب معه الوقوع على الحقيقة كما حدثت ، فقد اشتغل صبي حداد في الموصل وكسب قوته شحاذاً فيها ايضاً ، ويروى انه كان يبيع (الفرارات) في البو كمال ويأوي مساء الى

مسجدها فيسد رمقه من صدقات المحسنين على التقي الغريب الذي اسمه (نجيمان) ، وربما ساق قطعان الابل يطلب لها المراعي في ديار الدليم وعنزة أو عمل (فتاح فال) في مدن العراق المقدسة ، يعقد المحبة بين القلوب المتنافرة والكره بين القلوب المتالفة ويعبر الرؤيا ويشفي من بعض الامراض برقى وتعاويذ يصنعها للبسطاء الذين قيض له ان يحكمهم فيما بعد .

ولابد انه وقع خلال ذلك على طبائع الاهالي الذين اختلط بهم في قوتهم وضعفهم ونمط معيشتهم وعقائدهم ما اتفقوا عليه وما كانوا فيه يختلفون .

كان الفرات الاوسط قد آذن الاحتلال بحروب منه ، نجمع ليجمن شيوخ عشائر (لواء الدليم) في الرمادي واولم لهم وليمة فاخرة وقال لهم :

ـــ هنالك اضطرابات في النجف وما حولها ونريد ان نتعرف على آرائكم بشأنها .

فبادره ضاري بقوله :

ـــ ان اهل النجف يريدون حكومة وطنية لعموم العراق ونحن نتفق معهم بذلك .

فاجابه ليجمن بقوله :

ـــ وانا ايضاً اتفق معكم بهذا الخصوص واعطف على مطاليبكم الوطنية، ولكن حكومة صاحب الجلالة في حيرة من امرها . هل تجعل حكومة العراق شيعية او سنية ؟ .

ضاري : ليس هناك شيعة وسنة في العراق ، فالكل مسلمون ومن عنصر عربي .

فتجاهل ليجمن جواب ضاري وعقب كما لو انه يتم كلامه .

وقد قررت الحكومة ان تاخذ رجال الدين هناك بالعقاب بجريمة التحريض على « الاغتشاش » .

فالح ضاري الذي كان مصراً على الكلام خشية ان يأخذ بأطرافه اصدقاء ليجمن ويؤثروا على الحاضرين بآرائهم الشاذة .

— هم اولو امرنا في الوقت الحاضر وذلك لعدم وجود حكومة شرعية في العراق وطاعتهم واجبة على كل مسلم واذا اتخذت الحكومة اجراءات ضدهم فسنكون الى جانبهم مهما اصابنا من جراء ذلك . . .

وابطل ضاري لعبة ليجمن الطائفية ، وعندما عاد الى ديرته واجتمع برهطه قال لهم بنبرة ذات مغزى :

لقد كسبت لكم عداوة الكرنل .

واذا اردنا ان نترك ضاري والعداوة التي افادها لعشيرته فقبل ذلك بعشرين سنة وفي عام 1900 بالضبط رد آية الله الميرزا حسن الشيرازي رحمه الله القنصل البريطاني ببغداد رداً غير جميل لان الاخير اراد ان يستغل حادثة وقعت للامام في سامراء فعرض عليه حماية بريطانيا العظمى على ما حدثني به الاستاذ علي آل بازركان رحمة الله. ولكي ننصف الاستعمار فانه لا يفرق في تنفيذ خططه بين مسلم ومسيحي . روى الشيخ كاظم الدجيلي في رسالته التي كتبها الى الآب انستانس ماري الكرملي عن ثورة العشرين ان الانكليز بعد ان يئسوا من ايجاد ثغرة بين المذاهب الاسلامية عمدوا الى اثارة الشحناء بين الطواف الدينية وذلك باختلاق وسيلة يتوصلون بها الى الفتك باهل بغداد ، وقد اعدوا الفرصة المناسبة لذلك يوم عيد الجسد ،

وتدبروا تلك المكيدة الشنيعة وهي انهم يأتون بعدة رجال من البوليس الوطني او من خادمي افكارهم من المسلمين ويلبسونهم ثياب العلماء الاسلامية وعمائم بيضاء ويعطون بيد كل واحد منهم مسدساً ويتركونهم يندسون مع المتفرجين حتى اذا مرت الحفلة في الجادة الكبرى هجموا عليها وقتلوا من صبيانها وصباياها بضعة انفس وبذلك يتسنى للحكومة ضرب الاهلين والمطالبة بحفظ الاقلية باسم الدين . ولما طرق خبر هذه المؤامرة الفضيعة مسامع النصارى خافوا على اولادهم وبناتهم

من القتل فاوعزوا الى رؤسائهم الروحيين انهم لا يرسلون أولادهم وبناتهم للاشتراك باحتفال عيد الجسد الا اذا كان الاحتفال لا يخرج عن المحلة التي في دائرة الكنائس الاربع ! اللاتين والسريان والارمن والكلدان .

ولما سمع المسلمون بهذه الحالة ونوايا الحكومة السيئة ارادوا ان يزيدوها غيضاً على غيض فاجتمعوا في يوم الاحتفال الذي وقع في عصر الاحد 6 حزيران وساروا جمعاً واحداً الى كنيسة الكلدان حيث يكون الشروع بهذا الاحتفال المقدس فيها ، واشتركوا فعلا بالاحتفال مع النصارى ، ولم يكتفوا بذلك بل انقسموا قسمين قسم اشترك بالاحتفال والقسم الآخر وقف صفين على الطريق الذي تقرر ان يمر منه المشهد ففرشوه بالسجاد النفيس وحملوا بايديهم الورود الكثيرة المختلفة الالوان وماءها ايضاً . ولما مر مشهد المحتفلين من بينهم اخذوا ينثرون عليهم الورود ويرشون ماءها ويهتفون لهم مع التصفيق القاصف بقولهم :

ليدم مجد السيد المسيح

ليحيى آباء الكنيسة

لتعش الجامعة الوطنية

ليدم الاتفاق العراقي

ليحيى اخواننا المسيحيون

لتحيى الجامعة القومية

فكنت تسمع قسوس النصارى مع تابعيهم يحيون المسلمين هاتفين بقولهم :

ليعش اخواننا المسلمون

ليعش العرب

اما الانكليز الذين اشتركوا في الحفلة فكانوا يتميزون غيضاً من جراء هذه الحالة . . . » .

وقد اخبرني الاستاذ علي آل بازركان عام 1953 ببغداد ان حزب حرس الاستقلال هو الذي فوت على الانكليز كيدهم ذاك ودبر الاحتفال بعيد الجسد ذلك العام على النحو الذي مر ، وكان رحمه (ت 1958 لم يطلع على رسالة الدجيلي هذه التي نشرها السيد حكمت رحماني عام 1973 على انه كان سيء الظن بالشيخ كاظم الدجيلي على ما اذكر وقد اتهمه في رسالته الوقائع الحقيقية التي نشرها عام 1954 بانه كان موظفاً في شرطة الاحتلال ، ولم يدفع الشيخ الدجيلي هذه التهمة عنه في الردود التي كتبت على الرسالة وبهذا يرتقي الظن في غايات الانكليز التي اوردها الدجيلي الى مرتبة اليقين .

* * *

ذلك طرف من السياسة البريطانية في العراق اثناء الاحتلال وقبله ، والجهود الوطنية المخلصة لتفنيدها . . ومع ذلك فالانكليز على العموم كانوا يعانون من شحة الضباط ذوي الخبرة في الشؤون العراقية لتعيينهم بمناصب الحكام السياسيين في مراكز المحافظات ، حتى ليذكر ان بعضهم كان يشغل منصبه كما لو انه جاء اليه مرغماً ، واخطر ما في هؤلاء انهم يعاملون المحكومين بحقد اسود وكأنهم يحملونهم تبعة متاعبهم في اشغال تلك المناصب، وهذا هو عين ما الهب ارض العراق تحت اقدامهم حمماً واثار النقمة ضدهم ، حتى لقد قال قائلهم في لندن : « ليتنا لم نذهب الى هناك » . وشخص بخبرة ليجمن وحنكته وجرأته وسرعة حركته كان بمثابة الداهية البقعاء التي ترمي بها حكومة الاحتلال بوجه الخطوب والمصائب وكل ما يعرض لها من مشاكل. واول ما انيط به من المسؤوليات الجسام هو منصب حاكم ولاية الموصل ، ولست هنا بصدد وضع ترجمة كاملة لليجمن حتى اعرض لادارته في تلك الولاية الكبيرة، ولكن منصبه هناك كان على درجة من الحساسية بحيث أتعب ليجمن نفسه فانهمك في قمع عدد من الثورات الخطيرة التي اودت بحياة المئات من الجند البريطاني والعشرات من ألمع ضباطهم ، ولا شك ان الموت وفر ليجمن نفسه الى اجل ، فقد صرع خلفه المستر بيل والكابتن سكوت بعد اسابيع من استلامه المنصب من ليجمن . . . اما سبب عزله فكانت قناعة الحاكم العام ان ليجمن يحسن التعامل مع العرب اكثر مما يحسنه مع الاكراد القاطنين في ولاية الموصل ، والاكثر اننا نشعر ونحن

نقرأ مذكرات السر اي. تي. ويلسن انه اعتبر ليجمن فاشلا في ادارة الموصل التي استمرت قريباً من عام ... ويروى انه عاد بعد انفكاكه من الموصل الى بيته في بترسفيلد مع سيارته وخادمه حسن وقد وقع مريضا ولما ابل من مرضه عاد الى العراق ليشغل منصب حاكم (لواء الرمادي) في غضون شهر آذار، وقد شعر هذه المرة انه في طريقه الى حتفه، ويخيل لي ان السر برسي كوكس اناط بليجمن هذا المنصب حتى يكون ازاء مشاكل دير الزور التي اقلقت حكومة الاحتلال ببغداد وأربكت مسارها .

ومن الغريب ان المسؤولين الانكليز في العراق اعطوا دير الزور اهمية بالغة في اضرام نار الثورة، في نفس الوقت الذي اهمل فيه بعض الكتاب العراقيين امر دير الزور اهمالا واضحا، بل ان الدكتور عبدالله الفياض تعرض في كتابه (الثورة العراقية الكبرى) بالاستاذ محمد طاهر العمري مؤلف (مقدرات العراق السياسية) لأن الاخير «مر بالثورة العراقية سنة .192 مر الكرام فكتب تفصيلات كثيرة عن حوادث دير الزور وتلعفر وغيرها» ص14، كما خصص «اكثر من نصف كتابه الذي هو عن العراق للبحث في شؤون البلاد العربية المجاورة» . . قال ذلك واعتد في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه بالوثائق الجديدة التي اضافها الى تاريخ (الثورة العراقية الكبرى)، وهذه الوثائق الجديدة يتعلق اغلبها بالمدارس الايرانية والمشروطية الايرانية وفتاوى اخرى تتعلق بايران والدولة العثمانية .

ان دير الزور التي كانت تحت ادارة عراقية موفدة من الشام خاصة لتكديس المعدات فيها وللاتصال بعناصر الثورة وهيئاتها داخل العراق وسوق القبائل العربية تحت امرة ضباط عراقيين لمنازلة الجيوش الانكليزية في القطر، لا يتسنى لأي باحث اهمالها وقطع صلتها بالثورة العراقية التي هي منها في الصميم، على ان الرجل (محمد طاهر العمري) اخذ في كتابه السالف بنظرية (وحدة الثورة العربية) وهو نمط في تدوين التاريخ حاول بموجبه الكثير من الكتاب العرب في العشرينات تجاوز التجزئة السياسية التي فرضها الاستعمار الجديد على الوطن

العربي فأوضحوا وبصورة تلقائية ترابط الثورة العربية العضوي في العراق وسوريا وفلسطين والحجاز وشرق الاردن ولبنان ، فبدت هذه الثورة أمام القاريء ذات هدف واحد ، وقد تكاتف للنهوض بها في القطر الواحد رجال العرب من كافة أقطارهم ، وقد سار على هذه الشاكلة في تدوين تاريخ العرب الحديث الكاتب المصري أمين سعيد في كتابه «الثورة العربية الكبرى» الذي واكب فيه تطورات الصراع العربي ـ الغربي خلال ربع قرن في الجزء الآسيوي من الوطن العربي

والكاتبان في مدونتيهما عادا بصورة ما الى الاسلوب العربي القديم في تدوين التاريخ مثلما نجده عند الطبري وابن الاثير وابن خلدون وغيرهم من المؤرخين العرب المسلمين الذين وزعوا الاحداث على السنين ، فيتتبعونها في السنة الواحدة في كل بقعة من بقاع الامبراطورية العربية المترامية الاطراف ، وهكذا كان كتاب الطبقات الذين استقصوا تراجم رجالهم اينما كانوا في الحواضر العربية والاسلامية .

وبعد ان تكرست التجزئة واخذت الاحداث تنحصر قطرياً ضمن حدود سياسية معينة ، ظهر بمرور الزمن هذا الشكل الجديد في كتابة التاريخ الذي اخذ يهتم بالحدث داخل قطر ما ، ومع ذلك واذا اردنا مجاراة منطق الدكتور الفياض ، القطري ، فليس له ان يأخذ علي العمري انه اهتم بتلعفر مثلا ، وتلعفر ما تزال منطقة عراقية ، واحداثها تعتبر صفحات في ثورة العشرين لا يمكن التنصل منها .

وغمز الشيخ فريق المزهر آل فرعون (دير الزور) في أكثر من موضع من كتابه (الحقائق الناصعة) فقد زعم بموجب رسالة نشرها ، لا يمكن أن تعتبر وثيقة مهما تساهلنا في قبول الوثائق ، أن دير الزور طلبت المال من زعماء الفرات ، ومع ما عرف من ان دير الزور التي سيطر عليها ضباط من حزب العهد العراقي هي التي كانت تمد اعضاء ذلك الحزب داخل العراق بالمال لتغذية الثورة ، فليس للكاتب المذكور

حتى لو صح ذلك ان يكتب تلك الاسطر المشينة في تقطيع أوصال ثورة العشرين ، وقد امعن في هذا التقطيع خلال استفتاء توجه فيه ببعض الاسئلة الى زعماء الثورة . وابرز ما يلفت النظر في تلك الاسئلة قوله : «هل كانت ثورتكم تابعة لآراء جماعة بغداد وارشادهم ؟. وهل كنتم قبل اندلاع الثورة على اتصال مع البغداديين ؟. هل سمعتم بحركات دير الزور وتلعفر . . . . » .

ومهما كانت الاجابات ، فالحق اننا يجب ان نجد في جمع وثائق ثورة العشرين ، وان نكتبها بشكل صحيح ، بعيد عن التحيز وضيق الافق . .

* * *

بدا السر ويلسن ، احد ابرز جلادي الثورة ، مذكراته بقوله :

لو كان من الممكن رسم مخطط بالتنبؤات السياسية في بداية كانون الاول 1919 على غرار المخطط المألوف الذي يرسم للتنبؤات الجوية ، استناداً الى التقارير التي كانت ترد الى مكتب الحاكم الملكي العام من كل مركز اداري في العراق كل يوم تقريباً لظهر فيه انخفاض شديد في الضغط ينشأ في سوريا ويتحرك تحركاً مطرداً نحو دير الزور ولظهر في المخططات التي ترسم من بعده ان هذا الانخفاض كان ينتقل باطراد من دير الزور الى تلعفر مسبباً اضطرابات جوية خطيرة ، وكثيراً من الضرر المادي في كلا الطرفين ، ولأظهر المخطط ايضاً هبوطاً في المرواز السياسي في بغداد وكربلاء والنجف وهي الاماكن الثلاثة التي تعرف بكونها مراكز تثور فيها العواصف . . .

ويذكر العمري عن دير الزور انها بلدة «واقعة على مفرق طرق العراق والاناضول وسورية والحد الفاصل بين برية الشام والجزيرة وكان لموقعها الجغرافي خطورة عظمى بنظر العراقيين ، كما ان دير الزور لم تزل مركزاً لمسابلة عشائر الجزيرة والشامية وهي على اتصال دائم معهم وممراً خطيراً للقوافل التي تسير بين العراق والجزيرة والاناضول وسوريا ونجد ، ومما يجدر بالذكر ان معظم سكان هذا اللواء قبائل وعشائر شتى اهمهم عشائر شمر وعنزة والمكيدات والبكارة والجبور . . . . » .

ولدير الزور اهمية اخرى هي انها كانت على عهد العثمانيين متصرفية ملحقة بالعاصمة (الاستانة) مباشرة ولم تتبع أياً من الولايات بغداد أو الموصل او حلب او دمشق وهي الاخرى مثل الموصل لم تدخلها الجيوش الانكليزية عنوة وانما حلوا بها اثر انسحاب الجيش العثماني منها بعد الهدنة ، وقد بقيت بعض وحدات ذلك الجيش متربصة الى الشمال منها ، فتكون أهمية دير الزور بالنسبة للانكليز في العراق انها :

1 ـ صارت منطقة حدود غير معينة وقد استمر النزاع بين الاطراف المعنية بسبب ذلك زمنا طويلا لعب فيه ليجمن دورا بارزا .

2 ـ ان الانكليز كانوا يخشون من عودة الجيش التركي اليها وقد عاد ذلك الجيش اليها فعلا ، غير انه عاد وانسحب منها معتذراً بتصور قائده ان الانكليز قد تخلوا عنها .

(ووضع دير الزور وفق النقطتين السالفتين يشبه وضع الموصل) .

3 ـ انها انسب قاعدة للعراقيين العاملين في الحكومة السورية والذين اعلنوا بصفتهم ممثلي الشعب المكلفين بالاعراب عن ارادته باجماع الآراء استقلال البلاد العراقية المسلوخة عن تركيا بحدودها المعروفة من شمال ولاية الموصل الى الخليج العربي استقلالا تاما لا شائبة فيه، وأيدوا استقلال سوريا واتحاد العراق معها اتحاداً سياسياً واقتصادياً . . للانطلاق منها لتحرير البلاد من الجيش الانكليزي المحتل ،

فدير الزور تشرف على سبيلين مهمين من السبل المؤدية الى العراق ، هما : طريق الفرات ومسالك البادية من جهة والطريق المؤدي الى تلعفر والموصل من الجهة الاخرى . واذ كان فرع حزب العهد العراقي في الموصل من فروعه القوية النشطة فان دير الزور

التي سيطر عليها المهديون العراقيون تكون ذات اهمية خاصة بهذا الصـدد .

وعلى هذا فيذكر السيد علي جودت الايوبي انه قابل هو وجميل المدفعي الملك فيصل الاول في سوريا وطلبوا منه :

1 ـ ارسال اخيه الامير زيد الى دير الزور ليكون رمزاً للثـورة .

2 ـ ان يمدهم بمبلغ من المـال لإنفاقـه باديء الامر على اعاشة الضباط والجنود الذين سيشتركون في هذا العمل .

3 ـ ان يساعدهم على اخذ قسم من السلاح والعتاد المتبقي من ثورة الحجاز .

لقد رفض الملك فيصل الاول ارسال اخيه زيـد لان وجوده هناك بمثابة اعلان حرب غير رسمية ضد الانكليز اضافة الى الفرنسيين ووافق على امدادهم ببعض المال ولكنه توقف في قضية السلاح دون ان يبت فيها. ويذكر الايوبي انه تساهل بقضية السلاح لان باستطاعتهم اخذ حاجتهم منه من المخازن مباشرة ولا سيما انهم يتصرفون انطلاقاً من المصلحة العامة . . ومع ان الملك لم يبت في هذا الطلب الا انه على علم به .

من اجل ذلك اجمعت المصادر الانكليزية ، ولكن بمبالغة ملموسـة ، ان السلاح الذي وجهه الثوار ضدهم في العـراق كان سلاح دافـع الضريبة البريطاني ، وقصد هولدين والمس بيل وويلسـن ، الذين كرروا هذا المعنى في مؤلفاتهم هو لـوم رفاقهم الضباط الانكليز العاملين في الحكومة الفيصلية في سوريا ، وإلقـاء التبعة على عاتقهم لغفلتهم عن تسرب المـال والسلاح اللذين حصلت عليهما الحكومة السـورية من المساعدات الانكليزية الى دير الزور فالعـراق .

والحقيقة اننا هنا يمكن ان نؤكـد ان السـلاح الذي استعمله الثوار في الفرات الاوسط كان سلاحا قد اشتراه الثوار من خالص مالهـم ، اما السلاح الانكليزي الذي ظهر في أيديهم اثناء الثـورة فهو الذي اغتصبوه من الجنود البريطانيين خلال معارك العارضيات والرارنجية وسيطرتهم على الكثير من القطارات والبواخر المسلحة .

الا ان هذه المصادر عادت فاختلفت حول موقف الملك فيصل من دير الزور ، فذهب بعضها الى ان الملك وقع ضحية تحت تأثير ضباطه المتطرفين الذين لم يحكم السيطرة عليهم ، وذهب فريق آخر الى ان الاحداث كانت تجري بعلمه ورضاه ولكنه اتقن تنصله منهـا وهنا الفريق يتفق مع ضباط فيصل الذين نوهوا بأن ما قاموا به كان يجري بعلم الملك وتغافل منه .

فقد نصح الملك دير الزور ، مثلا ، بعـدم استعمال المدفعـين الصحراويين في قتال الانكليز داخل العـراق لأنهما سلاح ثقيـل مما لا يمكن ان يستعمله الثوار ما لم يثبت انهم غنمـوا مثلهما في المعارك . . وذكر علي جودت الايوبي انه استلم من الملك فيصل ثلاثة آلاف جنيه مصري لغرض حركات دير الزور ، ولكنه من ناحية اخرى ارسل برقية الى نائبه الامير زيد اعتبر رمضان شلاش فيها متمرداً وامر بمحاسبته محاسبة العصاة فاحتلاله دير الزور عمل موجه ضد الحكومة العربية والاتفاقات الدوليـة .

وارسل برقية اخرى الى المارشال ولسن رئيس اركان حرب الامبراطورية الانكليزية قال فيها :
انه لا علم للحكومة العربية بما جرى من احتلال دير الزور وانه يعتقد انه تم بفعل عجمي السعدون وجماعته خدمة للترك .

اما قضية دير الزور فقد ولدت وترعرعت على النحو التالي :

ارسلت الحكومة العربية في ختام الحرب العامة الاولى قـوة من (الهجانـة) الى دير الزور لاحتلاله على اثر جـلاء الترك عنه ، وكان ذلك في اوائل كانون الاول 1918 ولما تم لها ذلك عينت مرعي باشا الملاح متصرفاً على الدير ، كما ارسلت المدعو علي الناصر ، وهو احد اشراف المدينة المنورة ، لمعاونته . وقد امعن علي الناصر هذا في الاساءة الى الاهالي هناك والتدخل في شؤونهم مما دفعهم الى كتابة مضابط الى حاكم (عنـه) السياسي يطلبون توسطه لدى حكومـة بغداد حتى يحتل الانكليز الدير بدلا من الحكومة العربية . . ويذكر ويلسون وهولدين انهما لم يشجعا على هذا الانضمام لأنهما لا يريدان توسيع دائرة مسؤوليتهما ، الا ان حكومة لندن اجابت بالموافقة عندما

عرض الامر عليها ، فارسلت بغداد الكابتن جامبر في أوائل شهر كانون الاول سنة 1918 مع بضعة مدرعات الى دير الزور ليحتله باسم السلطة البريطانية . وعندما وصلوا الى الدير استغرب مرعي باشا ذلك فآثروا تحكيم حلب ، وقد تنازلت هذه عن الدير الى الانكليز ، فتم احتلال اللواء حتى الحمام والصبخة ، وبقي قضاء الرقة تابعاً لحلب ، وعندما مر عام على حكم الانكليز هناك أخذ الديريون يتذمرون من حكمهم شيئاً فشيئاً ، وندموا على ما فرطوا به بجنب الحكومة العربية ، فبدأوا يتصلون بها ثانية لاستعادتها من أيدي الانكليز . وكان رجال جمعية العهد قد فكروا في ايقاد نار الثورة في العراق فرجحوا استعادة دير الزور من السلطة البريطانية واتخاذه مركزاً للانطلاق منه الى العراق فسعوا الى تعيين العقيد رمضان شلاش حاكما عسكريا على الرقة لانه من عشيرة ابو سراية القاطنة شمال دير الزور وهي فرقة من العكيدات وعلى اطلاع كاف على حالة قبائل اللواء ، وقد تم تعيينه في ايلول 1919 « وزوده رجال العهد بالتعليمات اللازمة ودفعوا له مبلغا كافيا لينفقه على العشائر عند القيام بحركة الهجوم ..» . واهم ما جاء في تلك التعليمات انهم اوصوه ان يتربص الى حين انسحاب الجيش الانكليزي من سوريا ثم يبدأ بهجومه . . ولما تم انسحاب الانكليز سحبوا معهم ياسين الهاشمي (فهاجت وماجت له الافكار) وصدرت الايعازات حينذاك الى رمضان للشروع بالهجوم ، فجمع هذا نحو خمسمائة خيال وذلول من عشائر العكيدات والبكارة والملي وزحف بهم نحو الدير ، فتم احتلاله ضحى يوم 11 كانون الاول 1919 «ولما كان الانكليز قد درسوا حالة دير الزور في خلال السنة الماضية وعلموا انه ليس من مصلحتهم ابقاء قوة عسكرية في هذا اللواء الواسع الارجاء فانهم لم يرغبوا في سوق قوات عسكرية لاسترجاعها من يد رمضان ولم يعمدوا الى المقاومة الشديدة في البلدة وفاتهم ان بقاء دير الزور بيد ثوار العرب يفتح باباً واسعا لايقاد نار الثورة في العراق نفسه» .

ولا شك ان هولدن ندم على عدم استعادة دير الزور بعد ذلك لانه هو الاخر اعتبر ان الثورة في العراق اصبحت منذ ذلك الحين امراً واقعا ، فقد كانت حادثة دير الزور حديث دعاية رائعة ولا سيما بعد

ان تعززت تلك الواقعة بفقدان بعض السفن الحربية النهرية وهزيمة مفرزة من الجند البريطانيين والاسوأ من ذلك انهم قاموا باخلاء البوكمال فلم يبق شك أمام عشائر الفرات الاسفل بانهم ند للجيوش البريطانية (على راي هولدين) ويذكر اخيرا « لقد ظهرت الآثار السيئة لضعف مركزنا في نفوس أصدقائنا العرب ذلك ان فهد بك رئيس العمارات من (عنزة) وهو من والانا طوال أيام الاضطرابات الاخيرة تنبأ في شباط سنة 1920 قائلا لاحد ضباط الاركان في مقري . . « صدقوا . . أو لا تصدقوا . . إن لم تعيدوا احتلال دير الزور فالثورة ستقوم في الفرات الادنى خلال شهور ستة » .

وعندما عين ليجمن حاكماً سياسياً وعسكريا على (لواء الدليم) نظروا الحالة الراهنة في دير الزور بالدرجة الاولى . . وكان أمامه مهمات جسيمة .

هي : تصفية قضايا الحدود التي لم تعين بعد وانما أوكل أمرها الي مجلس الصلح والوقوف علي مشارف الفرات الاعلى للحيلولة دون تطاير شرر الثورة الى داخل العراق . .

وحول المهمة الاخيرة فقد ذكر مين انه صنع جهاز استخبارات متقن جند له حتي النساء والاطفال . . وقد نوه عبدالجبار الجبار بجهاز استخبارات ليجمن ذاك في اكثر من موقع من كتابه .

« أما المعلومات والحوادث التي كانت تقع في الناحية المذكورة (القائم) فكان الكولونيل ليجمن يستقيها بمختلف الطرق والوسائط وهو في محل اقامته (بعنه) التي اتخذها مقراً في ذلك الوقت تقريباً » .

وكان يقمع الاضطرابات بقسوة شديدة وكثيراً ما يقود هذا القمع بنفسه ويتبجح في رسائله الى اهله التي نشرها مين بما تم على يده من ذبح العرب . . . كان على الاغلب يركب طائرته فيصلي القبائل بنارها الحامية مباشرة او يقود قوات العشائر التابعة له فيحرق الزرع ويغنم الضرع ويهدم القرى شأنه في ذلك شأن قوات الانكشارية التركية القديمة في تعاملها مع القبائل .

وإذا كنا قد نقلنا راي آنست مين الذي يذهب الى ان ليجمن قد وطد الامن في لواء الرمادي دون ان يضطر الى صرف فلس واحد زيادة على المخصص فان آيرلند يذكر : «لقد ازدادت المنح»التي تقدم الى الشيوخ والمخصصات السرية في منطقة الدليم التي كان فيها الزعيم ليجمن حاكماً سياسياً من (50/000) روبية في 1919 الى (279000) روبية في (1920).

ويذكر الجسام للتدليل على نفوذ ليجمن وما كان يتمتع به من سلطة حتى على حكومة بغداد قوله « انه كان مدعو ذات يوم مع قسم من كبار رجال الجيش البريطاني ووجوه البلد في دار آل عريم في الرمادي وكنت حاضرا معهم . وفي ذلك الوقت جاءته برقية وما كاد يتم قراءتها حتى ظهرت عليه علائم الانقباض ... ولما رغب الحاضرون في اكتشاف سر هذه الانتفاضة . . اجاب ان البرقية التي بين يديه مرسلة اليه من الحاكم العام في بغداد وفيها يرفض الموافقة على صرف بعض المخصصات التي كان قد طلبها لشؤون اللواء ثم أكد للحاضرين انه سوف لا يمضي سوى هذه الليلة حتى يأخذ برقية اخرى بالموافقة على الصرف المطلوب ... » .

هذه هي السياسة التي انتهجها ليجمن في (لواء الرمادي) قوة متناهية في قمع اعدائه وفيض زاخر يغمر اولياءه به ونظام استخبارات دقيق يحص على الناس انفاسهم ، وبهذا ، مع قوة شخصية، استغنى عن وجود جيش بريطاني في لوائه ، وكانت حكومة بغداد بحاجة الى اي جندي لمجابهة الثورة في ميادينها المختلفة والجيش الوحيد الذي كان تحت يده هم الشبانة ومسلحو عنزة الذين اتخذوا اسم تحت راية ابن هذال وكذلك جماعة علي السليمان . . .

اما قضية الحدود فتتلخص بان حكومة بغداد ارادت جعل نهر الخابور حدوداً بينها وبين الحكومة العربية في سوريا وقد اعترض اهالي الدير الذين خرجوا على النفوذ الانكليزي على ذلك فنهر الخابور يقسم عشيرة العكيدات الى قسمين وفي حال جعله الحدود بين

الحكومتين فان الأخ سيضطر على استحصال جواز سفر لرؤية اخيه الذي يسكن على مرمى حجر منه . . وهذا بالطبيعة سيؤدي الى كثرة المخالفات وارباك الحكومتين معاً . . . ثم ان اهالي الدير الذين انتفضوا بعد ذلك ضد الحكم الانكليزي واعانوا رمضان شلاش على احتلال مدينتهم كانوا يخشون من وجود قوات انكليزية على الخابور الى جانب الدير ، فهذه القوات وهي على قدر من القرب، قد تفكر باحتلال الدير مرة اخرى وتقوم بأعمال انتقامية ضدهم . . وهذه الفكرة جعلتهم يتبرعون لمولود مخلص بجيش كاف من متطوعة العشائر ، يقومون هم بتسليحه واعاشته .

وكان رمضان شلاش لم يلبث الا يسيراً بعد احتلاله الدير حتى ارسل جموعه مع اخوته الى المياذين والبوكمال فاحتلوهما وقد غنم الثوار في البوكمال خزينة الحكومة بينما انسحب الانكليز الى عنه... ولكن الكابتن مايلس حاكم البوكمال السياسي استرد هذه البلدة في 21 كانون الاول .

وقد ارادت الحكومة العربية تخفيف وقع الحادث على الحكومة الانكليزية فارسل جعفر العسكري حاكم حلب الضابطين رؤوف الكبيسي وتوفيق الدملوجي الى الكابتن جامبير حاكم الدير المحتجز لدى رمضان شلاش فاوضحوا له ان رمضان يعتبر متمرداً بنظر حكومته ولو كانت لديهم قوة كافية لقاموا باعتقاله لتوهم ، في نفس الوقت الذي كان رؤوف الكبيسي (يشوق رمضان شلاش سراً على المواضبة على ثورته). وحدث ان وصل السر اي. تي. ويلسن الحاكم الملكي العام الى البوكمال فالتقى به توفيق الدملوجي هناك وقد اوضح الحاكم العام للدملوجي انه ليس في نيته استرداد دير الزور وان مؤتمر الصلح قرر ان يكون نهر الخابور الحد الفاصل بين سوريا والعراق، وعندما عاد هذا بالخبر الى رمضان شلاش اعتبر الدملوجي متواطئاً مع ويلسن حول نهر الخابور وفكر باعتقاله لأن المؤتمر السوري العام طلب ان يكون وادي حوران حداً فاصلا بين القطرين غير ان هذا بادر بالعودة الى حلب مع رفيقه الكبيسي .

وقد جهز رمضان شلاش حملة اخرى لاحتلال البوكمال . فهجم الثوار عليها في 11 كانون الثاني ونكلوا ببعض الموالين للانكليز هناك .

وفي هذه الواقعة قتل الشيخ عبـد بن محمد الدندل ، شقيق الشيخ مشرف الدندل ، شيخ المكيدات ، فأدى ذلك الى تشبث هذه القبيلة الكبيرة بكل ما يسوء الانكليز ويدخل الوهن الى حكمهم . وجاء في البلاغ الانكليزي : « وقد انسحبت الآن القبائل الى الميـاذين وعززت حاميتنا في البوكمال» .

وكان السوريون قد حملوا حكومة دمشق على تقديمها الاحتجاج الى اللورد اللينبي في القاهرة على القرار القاضي بجعل نهر الخابور حداً فاصلا بين العراق وسوريا .

والظاهر ان العراقيين في سوريا ارادوا الهيمنة على دير الزور تماماً لتوجيه الثورة الى بلادهم بشكل فعال فتشبثوا لتعيين مولود مخلص حاكما عسكريا على دير الزور ، ونجحوا في تشبثهم ، فسار هذا اليها على راس مفرزة عسكرية مؤلفة من مدفعين صحراء سريعة الرمي وسرية خيالة مع رشاشتين ثقيلة ، ولما وصل مولود مخلص الى الدير جابه مشكلة الحدود كأشد ما تكون حيث قدم له الاهالي مضبطة وقع عليها جميع الوجوه والاشراف يطالبونه فيها باتخاذ ما يلزم لإلحاق البوكمال الى لوائهم .

كانت قوة الدير تتألف اضافة الى المفرزة المشار اليها من مائة خيال من الدرك مع رشاشة متوسطة وخمسين شرطي مشاة . . كما وجدوا نحو خمسين قنبلة خلفها الاتراك في الرقـة عند انسحابهم وهي صالحة لاستعمال المدفعية بعد تجربتها .

القت الطائرات البريطانية منشورات ترد على رفض دير الزور الوقوف عند الخابور ، ونوه حاكم البوكمال بأنه سيحتل الصالحية والمياذين ، وقد قام فعلا باحتلال الصالحية في الموعد المعين ، الامر الذي (اقلق الديريين واحرج موقف مولود باشا) فراجعوه حول الموقف فاكد لهم مولود بانه لا يسلم شبراً واحدا من اراضي اللـواء الى الانكليز حتى لو كلفه الامر الى تضحية حياته ، وكان مولود مخلص قد كلف مرافقه محمد امين العمري بالقيام بتصليح خط التلغراف الذي يربط الدير بالمياذين والتقدم من هذه البلدة الى موقع الكشـمة الواقع على بعد ميلين شمال الصالحية وقد تم تنفيذ ذلك حيث وضع جهاز

هاتف في الكشمة مع بدالة وأرسل عشرة من الدرك الى هناك بقيادة الملازم الديري جاسر افندي ليكونوا رصداً على تحركات الانكليز في الصالحية ولما علم الكابتن مايلس بوجود التلفون هناك تقدم بسرية خيالة في آخر كانون الثاني فاحتل الموقع وسيطر على الجهاز . .

اعتبرت الدير احتلال نقطة (الكشمة) انذاراً انكليزياً حقيقياً باحتلال الميادين (فأسرع اشرافها ووجوهها الى تجنيد وتجهيز 400 محارب وسوقهم الى الميادين في مساء ذلك اليوم) واسرع مولود مخلص الى الميادين للاشراف على الدفاع عنها بنفسه ولما وصلت القوة العربية الى هناك وجدوا ان الانكليز اكتفوا من الكشمة بأسر دركيين ومصادرة جهاز الهاتف . . وقد صارت قوة الدير هذه فيما بعد عبئاً على الانكليز فشرعوا يباغتون معسكراتهم في الصالحية والبوكمال ليلا فيغنمون ما يقع تحت ايديهم من خيل ومعدات كما قاموا بشن الاغارة على طرق مواصلات الانكليز وتمادت العكيدات وفي مقدمتهم رئيسهم مشرف الدندل في مباغتة المعسكرات الانكليزية (وواضب محمد الهامة المعروف بشجاعته وغيره من رؤساء العكيدات على غاراتهم فما كان يمضي يوم وليلة ما لم يأت بها العكيدات بغنائم من الجند البريطاني المرابط في البوكمال والصالحية) . .

كانت فكرة جعل الحدود عند وادي حوران الذي يقع جنوب عنه بعشرات الكيلو مترات قد رفضت من قبل الانكليز بنفس العذر الذي اعتذرت به الدير حول نهر الخابور لان وادي حوران هو الآخر يقسم عشائر الدليم بدورها الى قسمين مما لا ترتضيه هذه العشائر واخيراً تم الاتفاق على جعل هذه الحدود قريباً من وادي علي الذي يقع جنوب البوكمال ببضعة كيلومترات .

* * *

ان اهم اعمال دير الزور اضافة الى ذلك انها جهزت حملة تلعفر المعروفة وكان من المقرر ان تمضي هذه الحملة بعد ان انجزت مهمتها في تلعفر الى الموصل بقيادة جميل المدفعي للتأييد الشعبي الواسع الذي يتمتع به حزب العهد هناك غير ان الحملة لم تصل في

الوقت المناسب مما وفر للانكليز الفرصة الكافية لمجابهتها فرجعت ادراجها بعد ان انكسرت مقدمتها على مشارف الموصل . . .

كما ثارت عشائر الشرقاط والدبس بدير الزور فنازلت الانكليز في مواقع مهمة وكبدتهم خسائر يؤبه لها في الارواح والمعدات وقد امتد هذا الاثر الى قبائل سامراء وبلد وسميكة ... وتؤكد المصادر الانكليزية ان رسائل مولود مخلص في التحريض على الثورة وصلت الى العمارة...

كما اجمعت المصادر على ان ما يؤخذ على دير الزور ان الكثير من الضباط العراقيين العاملين في الجيش السوري وبعضهم من رتب عالية قد استقالوا من الجيش وانضموا الى الثورة في دير الزور وكانت امكانات حاكمها العسكري مولود مخلص المادية محدودة مما ادى الى ان يصبح هؤلاء الضباط عبئاً على الثورة بدل ان يكونوا عوناً لها ...

3

هناك خطأ وقع فيه اغلب الذين ارخوا لواقعة مقتل ليجمن وذلك عندما ذهبوا الى ان حادث القتل وقع نتيجة انفعال آني انتاب سليمان الضاري وابني عمه بعد ان رأوا ليجمن رأي العين وهو يهين كبيرهم وزعيم عشيرتهم وامس الناس قرابة منهم ، وبالتالي فثورة زوبع التي تمت نتيجة لتلك العملية لم تنشب بدوافع صميمة على الثورة بقدر ما كانت تحصيل حاصل ومجابهة امر واقع لا يد لهم فيه وانما دفعوا اليه دفعاً .

يذكر الشيخ فريق المزهر آل فرعون الذي ضنّ بشرف ثورة العشرين على غير رهطه وعشيرته في كتابه (الحقائق الناصعة) ص 310 ــ 311 : « وبعد أن رأى ضاري أن ليجمن فاتك به لا محالة ثارت حميته فخرج من بين يدي ليجمن لحظة ثم عاد ومعه ولده سليمان وصعب بن مجباس وصلبي بن مجباس ودحام بن فرحان فدخلوا على ليجمن وقتلوه انتصاراً لشرف ضاري أولا واعلاناً لسخطهم على الحكومة المحتلة واظهار انفسهم من الثوار ثانياً » .

والذي اوقع عموم المؤرخين في ذلك الخطأ هو الشيخ ضاري نفسه وكذلك محامو الدفاع الذين كانت لديهم رغبة ملحة لا في انقاذ راس موكلهم من حبل المشنقة حسب وانما في منحه الحرية فوراً لينعم بها بعد المشقة التي تجرع مرارتها وهو في خريف عمره ولان موضوع الدعوى صار وجهاً من اوجه الصراع بين القوى الوطنية والقومية المناوئة للاحتلال وبين دار الاعتماد الانكليزي ومن يلوذ بها من العملاء

المحليين ، واحسب ان متهماً لم ينل من اهتمام الراي العام العراقي وعطفه كالذي ناله الشيخ ضاري ، حتى لقد وضع بعض محامي الدفاع خطة لتهريبه من المحكمة اثناء جلبه لها او خروجه منها اذا فشلت خطة الدفاع واستحصال البراءة له اعتماداً على موآزرة عموم الشعب لهم .

اما خطة الدفاع هذه فيمكن استنباطها وفق التصور التالي :

من ناحية لقد وقع القتل على ثلاثة هم :

1 ــ ليجمن .
2 ــ سائق سيارته الهندي .
3 ــ خادمه حسن .

ومن الغريب ان المحكمة اهتمت باثنين من اولئك الثلاثة هما : ليجمن وخادمه حسن ، ولم يكد يذكر امر السائق الهندي اثناء المرافعة إلا عرضاً . . حتى قرار الحكم الذي صدر فيما بعد ضد ضاري فانه تضمن عقوبتين : الاعدام الذي خفض الى الاشغال الشاقة المؤبدة. والاشغال المؤبدة على ان يتم تنفيذ العقوبتين بالتداخل .

ومن الواضح لدى تتبع سير المرافعة انهما صدرا بسبب مقتل ليجمن والخادم حسن الذي لم تكن له صفة رسمية في الوقائع التي نحن بصددها ولم يتقدم احد من اهله او محبيه باقامة دعوى شخصية للمطالبة بدمه بعكس السائق الهندي الذي لابد وانه كان من جنود الامبراطورية المكلفين بالخدمة في العراق .

ومهما يكن فان الدفاع لا يمكن ان يشكك في قتل ليجمن ولا يقدر ان يخرج ضاري من دائرة القضية تماماً . .

فقد كان ليجمن موظفاً كبيراً . . ووجدت جثته في نقطة ابي منيصير التي التقطها الملازم كورنك من هناك بعد يومين من قتله . . ثم دفنت في احد المعسكرات الانكليزية في الفلوجة ــ وقد تليت افادة الملازم المذكور امام المحكمة بهذا الشأن ــ ثم استخرجت هذه الجثة بعد اكثر من ستة أشهر . ودفنت باحتفال رسمي مهيب في مقبرة قتلى الجيش البريطاني في باب المعظم ببغداد وما زال قبره فيها .

فلم يبق امام المتهم وهيئة الدفاع الا الزعم بان ليجمن قد اهان ضاري بيده ولسانه وسجنه في احدى غرف المخفر واغلق بابها عليه ، وقد استفزت هذه الاعمال العدوانية سليمان واولاد عمه (لأنهم جهال) ولا يقدرون عواقب الامور ، فكان ما كان من قتلهم ليجمن ببنادقهم واخراجهم ضاري من الغرفة التي سجنه ليجمن فيها ، فالمتهم في هذه الحال ليس فاعلا اصلياً ولا محرضاً بارادته بل يمكن اعتباره مشلول الفاعلية اثناء وقوع (الجريمة) او غائباً عنها ...

يبقى دليل واحد مهم جداً على مشاركة ضاري في القتل هو ما اثير من أمر اجهازه على المجنى عليه بسيفه بعد اصاباته الاولى بالرصاص .

ومن الناحية الاولية فان ضاري انكر انه كان يحمل سيفاً ساعة وقوع الحادث . . والذي اعانه على هذا الانكار هو فقدان التقرير الطبي الخاص بتشريح جثة ليجمن من اضبارة القضية التي نظر فيها القضاء بعد ثمان سنوات تقريباً من وقوعها ، وهو مستمسك ــ لو وجد ــ على جانب كبير من الخطورة في تحديد الاصابات وتشخيص صفتها ونوعها ، وقد اكد فقدانه حاكم الاحالة في الرمادي الذي اعلن ذلك اثناء المرافعة استناداً الى كتاب التحقيقات الجنائية بهذا الخصوص بعد ان طالبه به احد محامي الدفاع (علي محمود الشيخ علي) . . .

ثم ان الكثيرين من شهود الاثبات قد تراجعوا تحت تأثير الرأي العام الذي منح المتهم كامل عطفه ــ امام المحكمة ــ عن اجزاء مهمة من شهاداتهم التي ادلوا بها امام الشرطة لصالح المتهم حتى ان حاكم الاحالة عبدالمجيد جميل عمد الى اعتقال اربعة منهم بطلب من ممثل الشرطة عبدالرزاق الفضلي .

فقد شهد بعضهم انه لم ير ضاري يحمل سيفاً ، وشهد فريق آخر انهم راوا السيف ولكنهم اكدوا انه كان بيد شخص آخر غير ضاري ولا يقدرون على التعرف عليه ، والشاهد الوحيد الذي راى السيف مسلولا بيد ضاري ذكر بانه لم يلاحظ على السيف آثار دماء . . .

قد يتبادر الى الذهن ان هناك متهمين آخرين في القضية ومثل هذا التحوير يضر بموقفهم تماماً . . .

المضنون الوحيد الذي مثل امام المحكمة هو ضاري اما المتهمون الآخرون . . .

الحاكم (مخاطباً ضاري) : تكلم ماذا جرى بسليمان وخميس ولديك ؟

المتهم : هما موجودان في ماردين .

الحاكم : وصلبي ماذا جرى له :

المتهم : صلبي مات .

الحاكم : وصعب ؟

المتهم : صعب هو طيب في ماردين .

وكان الحاكم قد سأله في موقف آخر عن دحام الفرحان .

— لقد مات في الجزيرة .

لم يبق من المتهمين اذن سوى خميس وسليمان وصعب أما خميس فان وقائع المرافعة تكاد تبرىء ذمته من القضية وسليمان وصعب في ماردين بتركية ولا يمكن ان تسلمهما الحكومة التركية للانكليز في ذلك الوقت كما ان قصة اختطاف الشيخ ضاري ستكون عبرة لهما من ان يقعا بأيدي الجواسيس مرة ثانية .

المهم امام الدفاع . وعلى وجه السرعة هو انقاذ المتهم الماثل الذي انهكه المرض وارهقه تقدمه في السن .

وعن كل ذلك قال الدفاع :

« ولكن الكولونيل لما كان حائراً من حوادث السلب لم يقبل عذر الشيخ ضاري وانحى عليه باللائمة حتى سجنه في الحجرة في المخفر قبل وقوع القتل . اما سبب القتل فلا يخلو من احد احتمالين : إما ان

الذين اوقعوا القتل كانوا مدفوعين بعوامل الثورة التي لم يكن موكلنا متأثراً بها حتى تلك اللحظة بدليل اذعانه للاوامر التي كانت تصدر اليه من دون تردد (ارسال ابنه خميس مع الشبانة بامر ليجمن لتعقيب قطاع الطرق مثلا) ، او لانه ثار هياجهم حينما راوا حالة اهانة كبير منهم ومحترم عندهم فأوقعوا جريمة لا دخل لارادة المتهم فيها . . . » .

يبقى حسن الخادم فقد وجه الادعاء العام تهمة قتله الى ضاري مباشرة . وامره اسهل من ذلك.

ان احداً لم يعثر على جثته في مكان الحادث كما عثروا على جثتي ليجمن وسائقه الهندي .

كما ان اياً من اقاربه ومحبيه لم يتقدم بادعاء شخصي على قتله .

والاكثر فهناك شهود يمكن ان يتقدموا امام المحكمة ليأكدوا بانهم راوا حسناً راي العين في الفلوجة مساء اليوم الذي قتل فيه ليجمن وهو يحدث الناس في النزيزة عن الواقعة .

قال الحاكم للمتهم حول حسن الخادم :

— هل عندك شهود دفاع ؟

— يمكن عندي شهود دفاع ، وانا لا اتذكر اسماءهم وهم يشهدون من طرف حسن . . ويشهدون انهم راوه ، وانا ما احد يساعدني ، لا في الموصل ولا في سنجار ، وليس لي رفيق ولا طبيب . . انهم يشهدون على ان حسن كان في الفلوجة وانهم راوه وانا ما قتلته .

— اتعرف يعقوب البطي ؟

— اعرف واحد يقال انه يعقوب البطي وانا ما رايته ولا جاء عندي ولا واجهته الى الآن .

— ماذا يشهد لك ؟

— لا اعرف ماذا يشهد .

— وعلي الاحمد هل تعرفه ؟

— والله ما ادري .

ـــ وعبدالله الخلف هل تعرفه ؟

ـــ ما ادري . . ما ادري .

ـــ من هو يعقوب البطي ؟

ـــ ما ادري من الدليم . . من غيرهم . . ولكنه من تلك الديرة . .

ـــ هل يعرف هؤلاء بقتل ليجمن ؟

ـــ الديرة كلها سمعت بخبر القتل ، وانا لا اعرف هل يعرف هؤلاء كيف قتل ام لا . . .

ـــ هل تحب ان نجلبهم الى المحكمة لتسمع افادتهم ؟

المتهم (يلتفت الى المحامين) : بكيف وكلائي ، انا عندي وكلاء ، وقد القيت نفسي بين ايديهم فعلى كيفهم ، انا مسلم نفسي لهؤلاء المحامين . . اسألوهم هم الوكلاء . .

وهذه الحركة من المتهم تدل على انه ليس له يد في قضية شهود الدفاع هؤلاء وان محاميه هم الذين تولوا امر اعدادها فلم يشأ ابداء راي صريح بصددهم وانما اناط موضوعهم بهيئة الدفاع لانه شخصياً قد اسلم نفسه لهم . . .

المحامي ياسين قدوري : نطلب يا سيدي ارسال جلب اليهم ونحن نحضرهم الى هنا .

وفي الجلسة التالية حضر اثنان من شهود الدفاع هما علي الاحمد وحسن الحداد . . .

افاد علي الأحمد انه بياع شراي من قبيلة الزبيد ويسكن الكرمة . . وهو يعرف ضاري . . وراى حسن الذي كان خادماً عند ليجمن . . وقد عرفه عندما كان يطوف مع ليجمن بين العرب « ثم رايته في الفلوجة عصراً بالنزيزة ، وقد رايته نهار مقتل ليجمن . . وكان الناس يقولون ان ليجمن قد قتل ، وانا سمعت حسن يحكي للناس ويقول ان ليجمن قد قتل » اما حلية حسن كما وصفها الشاهد فهو يزين اسنانه بالذهب وانه ابيض احمر يلبس باش بوزغ والشاهد وإن لم يتذكر تفاصيل ملابسه الا انها على العموم عربية .

داود السعدي : ما معنى العصر في كلام الشاهد .

الشاهد : العصر يعني الشمس بعد . . . ما غابت .

وشهد حسن الحداد انه يسكن اراضي عكركوف . . وهو من عشيرة العزاوي . . يعرف حسن الذي كان يشتغل مع الحاكم ليجمن . . وقد كان يلبس باش بوزق . . ورآه لاول مرة يمشي باطراف عكركوف مع ليجمن ، ورآه ايضا يوم (الثورة) « يريد ثورة زوبع » في الفلوجة يحكي ان ليجمن قتل . واما اوصافه فهو « ولد ابيض احمر . . ريان في حلقه ضياء . . ولا ادري كم عمره . . خمسة وعشرين . . . ثلاثين » .

داود السعدي : ماذا يعني الشاهد بالضياء ؟

الشاهد : لما كان حسن يحكي كان يلمع ضياء من حلقه (لعله يقصد الذهب الذي كان يزين به اسنانه) .

بعد ذلك قال الدفاع بصدد حسن :

« (ب) واما وقوع قتله فهي لا زالت غامضة ومفتقرة الى اثبات قانوني . ان الجريمة نفسها لم تثبت حتى الآن ولم يتقدم أي طلب من اقاربه او محبيه يدل على قتله وموته ، ولعله الآن حي يرزق واذا كانت نفس الجريمة لم تثبت بصورة تركن اليها النفس فلا يجوز ان تنصرف الأذهان الى وجود مجرم ، لأن اثبات الجريمة متقدم على اثبات الاجرام ومعاقبة المجرم » . . .

لهذه الطية اتجه الدفاع في تبديد ظنون المحكمة وشبهاتها حول ضاري وهي وجهة لم تفلح في انقاذه من الحكم عليه في نفس الوقت الذي تركت فيه بقعاً على نصوع النية التي ادت الى ذلك العمل الباهر .

ولكن هيئة الدفاع متبرعة في كل اعمالها بهذا الصدد لانها اعتبرت ضاري رمزاً لقضية الوطن الكبرى في نضاله ضد الاستعمار .

وكانت دؤوبة على عملها ليل نهار . . تتنقل من مكان لآخر للاتصال بالشهود وتزويد الصحف بالمعلومات الضرورية لتوجيه الراي العام

وتضع الخطط للخروج بضاري لا الى المشنقة ولا الى السجن . . وانما الى حيث لا تطاله يد الحكومة بل انها اعتبرت نفسها ملتزمة إزاءه حتى بعد وفاته فأشرفت على اخراج جثمانه من السجن . . ومن المستشفى وهربته الى الجماهير لتشيع (العريس) ذي الثمانين عاماً تشييعاً كما لو لم تشهد بغداد مثله طيلة عمرها الضارب في القدم ، ومع ذلك فلو ان المتهم وهيئة الدفاع بسطوا الحقيقة امام المحكمة كما وقعت لكان خيراً لهم ولولجوا بالقضية عموماً في مجراها السياسي هذا المجرى الذي كانت المحكمة تحذر من مجابهته علماً ان الدفاع لم يهمل الاطار السياسي للموضوع تمام الاهمال وانما جعله بمثابة خط الدفاع الثاني كما سنرى وهذا ما اضاع عليها خطي دفاعها . . الاول . . والثاني .

لقد كان ضاري خصماً سياسياً للانكليز .

وكانت هناك مجابهات دموية بينهم منذ بداية الاحتلال واذا كانت راية (المجاهدين) العراقيين بزعامة السيد الحبوبي رحمه الله قد انكسرت في الشعيبة فان فرسان زوبع أسهموا في معارك الكوت الضارية الى جانب الجيش العثماني ، وهي معارك ما يزال يئن من وطأتها تاريخ الحرب البريطاني ، حيث اسر الجنرال طاوزند مع عموم الجيش الانكليزي الزاحف الى بغداد وقد نجا ليجمن من الاسر مع الخيالة الانكليز قبل ساعات من استحكام الحصار على ما اشار اليه الفريق السر ايلمر هويلدين . وكانت هذه احدى العقد التي ترسبت في صدر ليجمن ضد ضاري كما اشترك في معركة اصطبلات على طريق سامراء وبعد الاحتلال يذكر عبدالجبار الجمام ان الشيخ ضاري « معروف لدى الانكليز بنزعته وميوله ومناوأته لهم سواء كان ذلك في العهد العثماني ام في زمن الاحتلال كما انه لم يسبق له ان تقرب الى الحكام السياسيين كما كان يتقرب اليهم غيره من الرؤساء والكبار . » .

واسرها ليجمن في نفسه وكان يطفح بها اناؤه بين حين وآخر . . .

عاد ضاري الى اهله ذات يوم من بغداد وكان في مواجهة الحاكم . . ولا اعرف بالضبط اي حاكم هو : ويلسون الحاكم العام أو بلفور حاكم

بغداد ...؟ فذكر ضاري لاصحابه ان الحاكم سر لوجوده عنده سروراً لا مزيد عليه وبينما هما جالسان اذ اقتحم ليجمن غرفة الحاكم كالاعصار ومن دون ان يعير احداً من الموجودين إلتفاتة اندفع يقلب جميع الاوراق الموضوعة على منضدة الحاكم كما لو انه يبحث عن شيء مهم وقبيل ان ينتهي من عمله قال الحاكم مخاطباً ليجمن :

لقد نسيت ان اقوم بواجب التعارف بين الكولونيل ليجمن والشيخ ضاري .

فالتفت ليجمن الى ضاري وبادره بقوله :

— ها . . . شيخ ضاري . اين صار أصحابك الاتراك .؟

— لا ادري فقد ذهبوا حيث ذهبوا .

— لا تدري ؟ انا أعلمك بخبرهم . . لقد تركناهم كالارانب بين الشجر.

وسكت الجميع .

وبعد ذلك عندما اخذ ليجمن يزور ضاري في مضيفه كان يحرص على ان يسرد على مسامع الحاضرين قصص غزواته الموفقة في البادية وكيف كان يذبح المتمردين العرب بشراهة . . .

ولم يقف الأمر بين الجيش البريطاني وزوبع عند حد العداء البارد فقد اصطدموا اصطداماً ساخناً مرتين بعد الاحتلال .. مرة مع السعدان (فخذ من زوبع) وكان رئيسهم يومها يوسف العرسان . . .

لمح رجال السعدان رتلاً بريطانياً يتقدم الى نزلهم فانسحبوا الى الانهار القديمة والاحراش المحيطة بالنزل انتظاراً لما يحدث ، وعندما اقترب الرتل من النزل اخذت كلاب الحي تنبحهم نبحاً شديداً فما كان من الجنود الا ان فتحوا النار عليها مما أثار ثائرة النسوة اللواتي تخلفن في الحي ، فالتف الرجال حول الرتل واصطدموا به فأوقعوا به قريباً من مائة اصابة بين قتيل وجريح . . اما السعدان فقد خسروا احد عشر قتيلا . . .

والاصطدام الثاني كان مع الكروشيين (وهم فخذ من زوبع ايضا) فقد داهمتهم مفرزة بريطانية لنهب ماشيتهم فعبر بها بعض

رجالهم نهر ابي غريب الى صوب (الحمام) رهط ضاري بينما اخذ البعض الآخر يشاغل القوة المداهمة وادى هذا الاصطدام الى قتل اثنين من رؤساء الكروشيين (اهل كهاوي) هما غنام الشحاذة ومحمد الفارس .

فهل يمكن ان يقال بعد هذا ان اصطدام ليجمن بضاري كان آنياً ؟

قال السر اي. تي. ولسن عن زوبع في تلك الفترة « وظلت زوبع برئاسة ضاري كثيرة الحرون لكنها في دور غير فعال » وقال عنها الفريق السر ايلمر هولدين : « وثارت عشيرة زوبع في الرابع عشر من آب . . انها عشيرة تسكن الفرات شمالا وافرادها كانوا يتململون وكانهم على ابواب ثورة » .

اضافةالى انضاري كان على اتصال بمركزي الثورة المهمين في بغداد والنجف الاشرف. . .لانقولهذا بمثابة حلوسط لفضالنزاع بيناستاذنا علي آل بازركان والشيخ فريق المزهر آل فرعون ، اسبغ الله عليهما رحمته الواسعة ، حول الجهة التي اثرت بافكار ضاري . . بغداد او النجف فقد راينا ان الرجل حدد موقفه من الانكليز منذ بداية الاحتلال ، وانه كان حرباً عليهم آناً وساكتاً على مضض آناً آخر ، ولم يكن يتقرب الى الحكام السياسيين بخلاف سواه من الرؤساء والكبار . وفعلا فقد راى الشيخ سليمان الضاري جدوع ابو زيد رسول ثورة النجف في مضيف والده مرة او مرتين ، كما ان ليجمن تعمد اغاظة ضاري اول مقابلتهما في المخفر عندما حمل اليه نبأ مداهمة السلطة لبيوت زعماء الثورة في بغداد وهم : يوسف السويدي وعلي آل بازركان ومحمد جعفر ابو التمن والشيخ احمد الداود ، بل يمكن القول ان ضاري اعتبر نفسه حلقة في تلك السلسلة وإن ليجمن جاء ليلحقه باصحابه أولئك ، وما زعمه الاستاذ علي آل بازركان من ان احاديث اهل بغداد كانت دائرة بين ليجمن وضاري غداة لقائهما في نقطة ابي منيصير فهو زعم صادق تماماً كما سنرى .

* *

في الحادي عشر من آب 1920 مر الكولونيل ليجمن حاكم (لواء الدليم) السياسي والعسكري قبيل الظهر بنقطة ابي منيصير في طريقة من الرمادي الى بغداد وعندما هرع لاستقباله ضابط النقطة عبدالجبار الجسام (طلب منه ان يبلغ الشيخ ضاري بالحضور الى النقطة لمواجهته) ضحى اليوم التالي . . .

في ذلك اليوم كان قد مر على الرصاص الذي انهمر على سراي الرميثة ، والذي اعتبر اطلاقه بداية لثورة العشرين ، واحد واربعون يوماً . . .

وعندها كان الثوار قد استخلصوا من ايدي الجيش الانكليزي محافظات المثنى (السماوة) والقادسية (الديوانية) والنجف وكربلاء ولم يبق بأيديهم من محافظة بابل سوى مدينة الحلة التي شن عليها الثوار هجوماً محكماً ولكنهم ـ بسبب اختلاف بسيط في التوقيت ـ اخفقوا في الاستيلاء عليها . وكانت الاضطرابات قد شملت الكثير من حواضر محافظة ذي‌قار ... وقبل اطلاق رصاص الرميثة كان الثوار في الشمال والموصل وتلعفر قد كلفوا القوات الانكليزية على ما يروي عبدالمنعم الغلامي في كتابه (الضحايا الثلاث) هامش ص 62 ـ الفي قتيل عدا مئات الجرحى والمفقودين . وفي عشرة الايام الاولى من آب ذاك كانت غيوم الثورة قد تلبدت في سماء محافظة ديالى وبعض حواضر محافظة التأميم (كركوك) ، اضافة الى ان الكثير من عشائر سامراء لم تعد مأمونة الجانب .. وبهذا تكون بغداد حيث مقر الحكومة قد اصبحت بمثابة شبه جزيرة أطبق عليها الثوار من كل جانب ـ غير خط نهر دجلة الذي الذي ينحدر من جنوبها الى البصرة ـ وكانت دير الزور في اعالي الفرات بمثابة شوكة تقلق حكومة الاحتلال ببغداد وكان نفوذها يمتد الى جنوب عنه حيث تنتشر قبيلة العكيدات التي لم تسلم قيادها واذا كانت جموع علي السليمان وشيخي عنزة محروث وابنه فهد بك الهذال قد امنت شيئاً من الهيبة للحكومة بين قبائل البادية وبعض ضفاف الفرات الاعلى ، فان زوبع التي تمثل النهاية الحساسة لهذا الخط لقربها من بغداد من جهة ولامتداد ثورة الفرات الاوسط الى المسيب وسدة الهندية وتطاير شررها الى بعض عشائر المحمودية لم تكن على وضع يمكن أن تطمئن معه الحكومة على موقفها فكان لا بد من احكام السيطرة عليها بشكل ما

خاصة وان بغداد نفسها كانت تقلق حكومة الاحتلال لانها بقيت مدة بمثابة المركز الفكري والتوجيهي للثورة بل يمكن القول انها في تلك المدة كانت على ابواب المعركة الساخنة .

فقد تكشف (مكاتيب) عبدالمجيد كنه التي عثر عليها في بيت يوسف السويدي والموقعة منه بوجود خطة للقيام بعمليات مسلحة داخل بغداد حيث حكمت عليه محكمة عسكرية بريطانية بالاعدام ونفذ الحكم به ليلة السبت المصادف 25 ايلول 1920 لأن له يداً « دموية في تأليف عصابةمن القتلة ترمي الى ارهاب وقتل كل من لا يجاري المبادىء المتطرفة التي اتخذها حزبه» ولانه ارتكب «جريمة ضد السلطة العسكرية بسعيه وراء اثارة الخواطر على جيش الاحتلال» .

كل ذلك ادى الى ان يعمد ليجمن الى تصفية الموقف ـ وهو الذي لا يقتصر عمله على مركز وظيفته ـ داخل بغداد وفي (دبرة زوبع) ، وعلى هذا الاساس غادر الرمادي صباح يوم 11 آب 1920 ، وفي ذات الليلة التي مكث فيها ليجمن ببغداد داهمت السلطة بيوت اربعة من مندوبي بغداد الذين كانت لهم اليد الطولى في اثارة الخواطر ضد الاحتلال وهم : يوسف السويدي وعلي بازركان وجعفر ابو التمن والشيخ احمد الداود ...

يروي الاستاذ جعفر الخياط الذي شهد بعض احداث تلك الليلة على ما يظهر انه «استطاع جماعة السوامرة برئاسة صبار في محلة خضر الياس التي يقع فيها مسكن آل السويدي ان يقاوموا الشرطة التي حضرت لاعتقال يوسف السويدي ويقدمون عدداً من القتلى (ستة قتلى واثني عشر جريحاً) ، وتمكن خلال ذلك من ان يهرب الى الكاظمية فيختبىء في دار العلامة السيد حسن الصدر والد السيد محمد الصدر ومن هناك استطاع التسلل الى اليوسفية ثم الى قبيلة البو محي وهي من قبائل الغرير والى الوند فكربلاء .

اما جعفر جلبي ابو التمن فقد استطاع التسلق من سطح بيته الذي كان يقع في الدربونة المسماة باسم جده (دربونة الحاج داود) في محلة صبابيغ الأول الى دار جيرانه الخلفي ، وهي دار آل حبه التي تقع في محلة السويدان ، ومن هناك انتقل سرا الى دار خاله محمود جلبي الاطرقجي في صبابيغ الاول فلم يوافق على بقائه في بيته ثم انتقل

منها الى دار والدنا المرحوم مهدي الخياط في المحلة نفسها» . وقد نفذ عبدالمجيد كنه خطة اخراجه من بغداد هو والاستاذ علي آل بازركان الذي كان مختبئاً في محلة الحيدرخانة .. وقد انتقل منها الى محلة سيد سلطان علي .. ولم توفق السلطة الا في القبض على الشيخ احمد الداود ، والثلاثة الآخرون فقد التحقوا بميادين الثورة في الفرات الاوسط 0 وادت هذه العمليات ، بالاضافة الى اعدام عبدالمجيد كنه ومقتل ستة افراد من المدافعين عن يوسف السويدي الى تنفيذ حكم الاعدام بـ «سلمان بن احمد وحسين بن احمد ومحمد بن سلمان وصالح بن محمد واحمد بن عبدالله وشاني بن محمود» واصدرت السلطة بياناً مهماً منعت فيه اقامة المواليد النبوية في الجوامع ليالي الجمعة التي (اعتاد بعض المفسدين اقامتها) . (التهييج افكار الناس ضد الحكومة ولبث روح الاختلاف) . كذا ورد في نص البيان .

في صباح 12 آب مر ليجمن قبل ان يعود ادراجه الى الرمادي بمكتب السر اي. تي. ويلسن ، وكيل الحاكم الملكي العام ، ثم غادره حوالي الساعة الحادية عشرة وهو يقول على ما يروي الحاكم العام «بأنه سيكون في الفلوجة في الساعة الثالثة . وسوف يبرق لي عن الحالة بالتفصيل .. ثم اضاف قائلا : انه كان قد اخبر الشيخ ضاري بمقابلته في خان النقطة الكائن في منتصف الطريق بين بغداد والفلوجة ، وطلب السماح له بامهال الشيخ ضاري وتأجيل مطالبته بتسديد بعض السلف المدفوعة له لشراء البذور خلال السنة الماضية». ولابد انهما تحدثا عن الفشل الذي منيا به في القبض على (المفسدين) .

لقد انتهوا من امر بغداد بشكل ما ، وهم وان لم يقبضوا على جميع اقطاب حزب حرس الاستقلال ، الا انهم اعدوا سلسلة من الاجراءات القاسية لدعم اجراءاتهم في ليلة 11 ــ 12 آب .

ولم يبق امام ليجمن سوى ضاري وزوبع الذين كان يحقد عليهم ولكنه على العموم كان يكظم غيظه طمعاً في تدجين تلك القبيلة شبه البدوية ..لا بد وان ينتهي من امرهم في نفس اليوم ، كان يحمل معه سطوة السلطة وتسهيلات حكومية خاصة بضاري ، ولا بد من نفاذ واحدة منهما عليه ، إن لم يمسك بناصيته بواسطة الديون الحكومية

فلا بد من البطش به بطش عزيز مقتدر بما يحمله من صلاحيات السجن والنفي والاحالة الى المحاكم العسكرية ليتسنى الخلاص منه بأسرع وقت ممكن .. ما كان يجب ان يتركوا ضاري وزوبع الى ذلك الوقت .. هؤلاء العرب .. انه ليس اشفى للنفس من ذبحهم .. واذا استفزه وثارت ثائرة زوبع فمن يدري ماذا يمكن ان يحدث؟ سوف يأخذه باللين.. بالشدة .. ويذكر له احداث بغداد في الليلة الماضية لعله يتضرع او يخشى ...

كانت السيارة (الهارفستر) تنهب الارض بليجمن وخادمه وسائقه وهو في طريقه الى نقطة ابي منيصير لملاقاة ضاري . . لا بد وان ضاري هناك الآن . . وربما لم يأت فقد طلبه قبلها عدة مرات دون ان يلبي دعوته (هكذا فكر ليجمن) .

* * *

كان عبد الجبار الجسام قد بعث اثنين من الشبانة ظهر اليوم السابق لتبليغ ضاري بوجوب حضوره الى المخفر لموافاة الحاكم ليجمن صباحاً الى المخفر وفي نفس الوقت استدعى ضاري رؤساء العشيرة ووجوهها يطلب منهم الراي .. هل يواجه الحاكم أم يعتذر عن المواجهة بمرضه.. لم يكتم عنهم انه يوجس خفية من تلك المواجهة .

ـ عليك ان توافيه وفق الموعد المقرر لأنك اذا تخلفت او اعتذرت فربما يعتبر ذلك تمرداً .

قال ذلك احدهم واكمل شخص آخر .

ـــ ونحن لا نريد أن نتسرع في الثورة .. اننا بحاجة الى بضعة ايام اخرى ريثما نجمع طعامنا فندخر ما نحن بحاجة الى ادخاره لعيالنا ونبيع ما نستغني عنه لشراء السلاح وبعدها يكون لكل حادث حديث .

ـــ والاكثر فاننا لا نريد منك ان تكسب لنا المزيد من عداء الكرنل اذا واجهته كن ليناً معه اكثر ما تستطيع ولا تنس اننا بحاجة الى بضعة ايام اخرى .

هذا هو خلاصة راي زوبع الذي ابدوه لضاري ، فهم في موسم «الدايس» ويجب ان يبدأوا الثورة بعد فراغهم منه لأن ذلك يتيح لهم

توفير القوت لأطفالهم ونسائهم الذين يستخلفون في منازلهم ، وكذلك لاستكمال تسلحهم بما يتوفر لهم من ثمن الطعام الذي يستغنون عنه .

قلت للشيخ خميس الضاري انني عندما قرات مذكرات عبدالجبار الجسام (30 سنة في الوظيفة) خرجت منها بأنكم كنتم قد اجمعتم على قتل ليجمن مهما كان امره مع الشيخ ضاري فهل يمكن ان تقدموا لنا ايضاحاً حول ذلك ...؟

— لقد كان الوالد يكره الحكام السياسيين كرهه للطاعون .. وكانوا هم بدورهم يبادلونه كرهاً بكره وكانوا ينتهزون عليه الفرص لايقاع الضرر به كلما سنحت لهم . . طلبوا منه مرة ان يجمع حشر زوبع لكري نهر الصقلاوية .0 وكان الجنود الهنود قد نقلوا معهم بعض الامراض التي يتحاشاها العرب .. فادى ذلك ان تتخلف زوبع بعض الوقت عن اكمال العمل الذي انيط بها ففرضت السلطة عليه غرامات تجاوزت الستة آلاف روبية (واكثر من عشرة آلاف روبية على رواية الشيخ سليمان) .

ويذكر عبدالجبار الجسام ان اول حاكم سياسي عين في الفلوجة بعد الاحتلال هو الكابتن سلفن الذي لم يحسن المعاملة مع الشيخ ضاري فكان يحتقره في بعض الاحيان كما كان يحتقر اغلب رؤساء عشائر تلك المنطقة وكانت سيرته تدعو للسخط والاشمئزاز .

✱

وتابع الشيخ خميس حديثه معي ... وقبل قتل ليجمن بشهر او شهرين لا اذكر بالضبط . استدعاني والدي وقال لي : **لقد سمعت بان ليجمن سوف يحضر غداً الى ديرة الشعار (فخذ من زوبع) ليحل بعض الاختلافات الحاصلة على الاراضي هناك وعليك ان تستصحب معك خالك شلال الحريث ودفار الريحان احد الاتباع فما ان تقع اعينكم على ليجمن حتى تبادروه برصاصكم ويجب ان يصلني خبر قتله قبل وصولكم ...**

لم اناقش والدي عن السبب الذي دعاه الى اتخاذ هذا القرار كما لم ابحث معه عن خطة التنفيذ وكل ما فعلته انني استصحبت خالي ودفار الريحان الى اراضي الشعار مبكرين بعد ان تسلحنا تسلحاً جيداً وبقينا ننتظر قدومه الى مغيب الشمس دون ان يحضر ولا اعرف

السبب الذي حال دون حضوره الى الآن وبذلك نجا من الموت .

وقبلها يذكر عبدالمنعم الغلامي ان ليجمن نجا مرتين من موت محقق، **المرة الاولى عندما** كان حاكماً في الموصل فقصد في حزيران 1919 بلدة زاخو ومعه عشرة من المرتزقة (وكان قد اخذ معه كمية كبيرة من المسكوكات الذهبية والفضية واوراقاً نقدية لتوزيعها على بعض العشائر.. ولما وصل الى مضيق زاخو تصدى له بعض الاكراد المسلحين وقبضوا عليه وعلى رجاله (وهم لا يعرفونه) وهموا بقتله فقال لهم مستعطفاً بانه رجل من اهالي بغداد وله عيال كثيرون ولاجل اعاشتهم دخل في خدمة الانكليز فوجهوه الى الموصل فزاخو مع هؤلاء المأجورين ليسلم الى حاكمها هذه النقود ثم رجاهم ان يطلقوا سبيله ويكتفوا بأخذ الدواب والدراهم ، فرقوا لحاله فلم يقتلوه وانما فتشوه واخذوا منه المسدس الذي كان يحمله وصادروا القافلة والدراهم .

والمرة الثانية : انه كان قد ذهب في شهر آب 1919 الى بامرني ليشرف بنفسه على الحركات الحربية ضد الثورة النقشبندية التي نشبت هناك وكان الرصاص ينهال عليه من جانب الثائرين فأصيب حصانه بطلق ناري فمات ، ولكن الكولونيل ليجمن لم يلحقه اذى فاستعاض عن الحصان المقتول بحصان آخر ، ودخل بامرني منتصراً .

وفي نفس الوقت الذي ارسل فيه ضاري ولده خميس لاغتيال ليجمن في أراضي الشعار (أوائل تموز 1920) جرت محاولة مهمة لقتله في شفاثه ولكنه نجا منها هي الاخرى بعد ان افتداه الحمار الذي وضعه مقتنصوه في طريقه براسه . وليجمن هو الذي نقل هذه الحادثة في رسالة بعثها الى أهله ومؤرخه في 20 تموز 1920 ونقلها (براي) الى كتابه :

«ما زلنا نعيش في دوامة الاقتتال والاضطراب ويبدو الآن وكأن العراق كله منهمك في القتال ..

لقد نجوت باعجوبة .. لقد ذهبت الى احدى المدن في منطقتي تتوغل مسافة ستين ميلا في الصحراء هي مدينة الرحالية وهناك قوبلت بشكوى وجهها حاكم عربي في مدينة اخرى هي شفاثة التي تقع خارج المنطقة التي اشرف عليها .. ذهبت الى هناك بسيارتي حتى بلغت باب الحصن فوجدت الاعداء يحتلونه ، ولقد دهشوا مثلما دهشت انا

الأمـر الذي وفـر بعض الوقت للاستدارة ... لكنهم لم يفسحوا لي طريق العودة بما اطلقوه من نيران فاضطررت أن أسلك زقاقاً ضيقاً ، وهنا جوبهت بحمار سـد علي الطريق فلم اجد بـداً من أن اصدمـه بسيارتي فاطرحه ارضاً واسحق رأسه وأواصل السير ...» . ولكنه لم يبلغ الغاية من مسيرته فقد الح عليه شعورطاغ ان محاولات مصطاديه لن تذهب جميعها أدراج الرياح ... وإن أيامه قريبة .

* * *

تقلد ضاري سيفه في الأبهة التي اعتاد الشيوخ اتخاذها عندما يقابلون الحكام وغادر مضاربه مع ثلة من فرسان قبيلته وبعض اتباعه وخدمه يبلغون العشرين قد وضعوا بنادقهم على اكتافهم وهم على رواية عبدالحميد العلوجي عن الشيخ سليمان الضـاري «خميس وسليمان ولدا ضاري ،وصعب وصلبي المجباس وعفن بن حـرج وهؤلاء أولاد اخوة ضاري ، ومشوح الحامد وزمرة من العبيد .. منهم صلفيد بن سالم وخلف العنبر وعبد بن مسك » ولا ادري ان كان دحام الفرحان ــ وهو من المتهمين البارزين في القضية قد التحق بهم في خان ضاري أو انه قد رافقهم من صدر الغبادي واغفل اسمه في رفقة ضاري سهواً . وسألت الشيخ سليمان عمـا دار بينهم من حديث اثنـاء طريقهم الى الخـان فقال :

لقد عاد ابي الى فكرته الاولى وامـرنا بقتل ليجمن اول ما تقع اعيننا عليه .

ولكنه ما لبث ان تذكر المهـلة التي طلبتها منه العشيرة لجمـع طعامها فسحب أمره ذاك وطلب منا ان لا نستفز الحاكم باية صورة من الصـور .

واذا لم يكن موقفه مناسباً منا .

سأله احـدهم :

اجـابـه ضـاري :

عندها يمكن ان نتصرف وفق ما يمليه الموقف ولكم ان تقتلـوه في هـذه الحـال .

* * *

على هـذه النية وصلوا الى خان النقطة الذي يبعد حوالي مائة خمسين متراً عن المخفر . . مكان الاجتماع بين ضاري وليجمن .

ذكر الحاج سليمان لعبد الحميد العلوجي « انهم حينما وصلوا الخان وكان محروساً بأكثر من عشرين شخصاً من الشبانة .. توجه ابي الى المخفر وكان قريباً من الخان وطلب الي أن ارافقه ... وامر جماعتنا بالمكوث بالخان وجايخانة الخان .. وكان ابي يحمل سيفاً .. وابت مروءته ان احمل بندقيتي في مواجهة ليجمن فامتثلت امره .. واودعت البندقية لدى أحد اقربائي ولكنني ظللت مدججا بحزام الطلقات ومحتفظاً بخنجري ولم يكن ليجمن ساعتئذ في المخفر» . اما عبدالجبار الجسام فيروي وصولهم كما يأتي :

«فاحضرت الشيخ ضاري فعلا في الوقت المعين وكان معه ولداه خميس وسليمان وجماعة من أولاد عمه صكب وصعب وخدامه الآخرين (كذا) ودخلوا بسلاحهم ولكنني في الحال اعترضتهم على ذلك وطلبت أن يخرج كل من كان معه الى محل آخر ، اذ ان وصولهم على هـذه الصورة لم يكن مالوفاً من قبل ولا يجوز دخول الاسلحة حتى وإن كانت مجازة الى محل حكومي ، الا ان الحاكم نفسه كان على وشك الوصول الى المركز .. وعلى ذلك امر الشيخ ضاري أولاده ومن معهم من جماعته بالخروج فخرجوا وذهبوا الى بناية الخان وبقي هو وحده معي » .

كان خميس وسليمان واقفين بباب الخان عندما وصلت الى هناك سيارة ركاب عمومية فنزل صاحبها أسطة فيزان منها وهـو شخص يعمل بسيارته على خط بغداد ـ الرمادي منذ سنة بينما انهمك مساعده في تغيير ماء براد الماكنة الذي كانت الابخرة تتصاعد منه .

سأل اسطه فيزان اولاد الشيخ عن سبب وقوفهما بباب الخان فاجابه خميس :

ان الكولونيل امرهما بالحضور

ــ والشيخ ضاري ؟

ــ هو الآن في خان البوليسية .

ــ لا ادري كيف حال الطريق ؟

اجابه خميس :

— ان طريق بغداد غير مابح .

ولكنه استدرك مع اسطه فيزان بقوله :

— انك شخص معروف هنا ولا ارى اي باس من الطريق فاذهب بامان الله ...

(هكذا كانت رواية السائق في شهادته أمام المحكمة) .

اتجه اسطة فيزان الى سيارته وكان مساعده قد انتهى من تبديل الماء وقبل ان يصعد وراء المقود كان دحام الفرحان يستفسر من احد ركابها عن وضعية الجيش الانكليزي في الرمادي وتحركاته ، تجاهل الراكب ــ واسمه صلبي ــ استفسار محدثة وحدجه بنظر شزر فيه الكثير من الريبة والاستخفاف .

ادار السائق محرك سيارته وسار بها على مهل مع ركابه ، حتى اذا وصل القنطرة الواقعة بين الخان والنقطة استوقفه أحد رجال الشبانة وسلمه اقل من روبية واوصاه ان يشتري له من بغداد بعض الحاجات .. والح في وصيته وكان يتذكر حاجاته الواحدة تلو الاخرى، فضاق اسطه فيزان به وكبس بقدمه على مفتاح الوقود فاندفعت السيارة بسرعة مخلفة وراءها ذيولا من غبار كثيف .

وفي المخفر كانت ساعات الانتظار تمر بالشيخ ضاري بطيئة ثقيلة وكان يقطعها بالتدخين وفناجين القهوة ومجاذبة الضابط عبدالجبار افندي ــ الذي هو الآخر ابن أحد رؤساء عشيرة الجميلة ــ اطراف الحديث .

كانت بوابة المخفر تفضي الى مجاز طوله اربعة أمتار تقريباً ويزيد عرضه على المترين تقع على جانبيه بابان تؤدي كل واحدة منهما الى غرفة تمتد من جدار المجاز الى نهاية ضلع البناية عرضاً ، ولكل واحدة منهما باب اخرى تفضي الى واحة مكشوفة مساحتها مئتامتر تقريبا، حيث تنتهي هذه الباحة الى سقيفة تستغرق عرض المخفر بكامله ، والارجع انها كانت مكاناً للخدمات العامة للشرطة هناك .

والبناية عموما تتالف من طابق واحد ما عدا غرفة تمثل

بشكل ما الطابق الثاني ، وهذه الغرفة خارجة عن هيكل البناية العام ، فهي بمثابة نتؤ يتقدم الباب الرئيسة ، يسند قاعدتها المربعة عمودان من الطابوق ، ويمكن اعتبار الفراغ الذي بينهما ممراً يؤدي الى الباب .

اما قاعدتها المعقودة بالطابوق فقد اصبحت ظلة تحمي الحرس من وهج الشمس وزخات المطر ، وهذا النتؤ منح البناية حركة اخرجتها عن رتابة مملة .

وكانت تلتصق بالمجاز دكة من الطابوق يبدو انها ازيلت فيما بعد جلس عليها الشيخ والضابط فسأله ضاري :

ــ متى تتوقع وصول الصاحب الى النقطة . . ؟ لقد تاخر كثيراً .

اجابه الضابط :

ــ لا اظنه يتاخر اكثر مما تاخر اذا لم يعقه عائق .

كانت الساعة قد تعدت الواحدة بعد الظهر وفجاة نبههم الى وصوله قعقعة سلاح الشبانة وزعيق آمرهم وهم يؤدون التحية العسكرية للحاكم . . الذي وصل تواً .

كان ليجمن قد غير طريقه المالوفة من بغداد الى الفلوجة فضرب نحو الكاظمية حتى اذا تعدى القصبة بقليل عبر سكة حديد سامراء واتجه الى هور عكركوف ومن هناك اتخذ طريقاً فرعيا بوصله بطريق بغداد ــ الفلوجة العام قريباً من سدة الترك التي تقع الآن في (حي تميم) وبعد ان قطع فيه مسافة باتجاه خان ضاري التقى بسيارة اسطة فيزان التي كانت متوقفة بسبب عطب اصاب اطارها فسال سائقها :

ــ ماذا هناك ؟

ــ عطب بسيط في الاطار وقد انتهينا من تصليحه .

ــ هل تحتاجون الى شيء ؟

ــ الله يوفقك صاحب . . سلامتك . . لا نحتاج الى شيء .

ــ هذا الطريق موزين وطريق الرمادي آمن منه .

قال ذلك وانطلق بسيارته يصحبه خادمه وسائقه الهندي وعندما التقى بضاري بعدها بدقائق في المخفر بادره بقوله :

— هل تعلم يا ضاري ان طريقكم هذه لم تعد آمنة وقد اضطررت ان اسلك طريق عكركوف من بغداد لاصل الى هنا ؟

سمع ضاري ملاحظة الكولونيل هذه واحس انه يعنيه بها فنهض من فوق الدكة التي كان جالساً عليها في ممر المخفر وتقدم منه بود للقيام بمراسيم التحية الاعتيادية والسؤال عن الخاطر ، وبعد فترة صمت قصيرة اجابه :

— والله يا صاحب الطريق طويل . . وكثير من الناس يمرون عليها وليس لي سلطة عليهم .

وبعدها . .

يذكر عبدالجبار الجسام في كتابه (30 سنة في الوظيفة) الذي كان حاضراً في بداية المواجهة بين الرجلين « إن ابرز حديث سمعته من الحاكم يتعلق بقيامه هو والسلطة الانكليزية بتعقيب يوسف السويدي واحاطة داره والقبض عليه ولكنهم لم يتوفقوا في ذلك . . . ثم تكلم عن قيام الثورة في كربلاء . . وكان مثل هذا الحديث في ذلك الوقت من اخطر الامور لأن التطرق اليه من قبل الحاكم ليجمن كان في نظري ذا أثر مهم في نفس الشيخ ضاري » .

ويخمن عميد الشرطة الجسام ان قصد ليجمن من هذا الحديث هو فتح باب الحوار مع ضاري حول قضايا الثورة ومحاولة التأثير عليه واستمالته .

« اما الشيخ ضاري فلم يتكلم بشيء في هذا الموضوع الا انه اظهر عدم علمه بما حدثه به الحاكم » .

وقال الجسام ايضا في شهادته امام المحكمة الكبرى ببغداد في كانون الثاني 1928 ان ليجمن قال لضاري : « انا عملت بلوفة على السويدي فانهزم ثم قال في كربلاء ثورة ثم اخذا يتباحثان في الزراعة . . . » .

وقال هولدن ـ واقتبس منه ويلسن هذه الرواية ـ :

« والتقى ليجمن بضاري عند مدخل الخان وشرعا يبحثان في بعض القضايا المتصلة بالحاصلات والواردات .. » .

ويذكر الحاج سليمان ان والده استمع بتأثر بالغ الى ليجمن وهو يروي له احداث بغداد في الليلة السابقة ولكنه بدا غير مكترث لما يسمع كما لو ان الامر لا يهمه .

* * *

انتهى اسطة فيزان من اصلاح اطار سيارته وتحرك بها ثانية حتى اذا وصل الى سدة الترك «شاهد قافلة قادمة من بغداد فيها بغال وحمير والناس يبكون وينهزمون ، فأخبره بعضهم ان الحرامية قريبون» واشاروا عليه أن يعود ادراجه خشية ان يقع في قبضتهم ، فما كان من الاسطة إلا ان استدار بسيارته ورجع الى المخفر ، ونحن هنا نميل الى الرواية التي تذهب الى أن ليجمن ما إن سمع صوت السيارة وهي تقف بباب المخفر حتى ارسل يستدعي اسطة فيزان هذا كما لو انه كان على موعد معه واستفسر منه عن سبب رجوعه ، فاجابه هذا :

ـــ صاحب الطريق مدكوك وقد سلبت عليه قافلة ((مجارينا)) . فحدج ليجمن ضاري بنظرة ملتهبة وقال له :

ـــ هذه الحركات كلها منك .. انت تعمل تشويشات على الطريق .

كان ضاري يريد أن ينهي هذا اللقاء الذي صار ثقيلا على خير فاجابه بصوت خافت وقد خفض بصره :

ـــ العذر لله يا صاحب ... وكما قلت لك انني لا علم لي بما يجري على الطريق وليس من المعقول ان اكون مسؤولا عن كل ما يحدث .

بدا جواب ضاري كما لو انه لا يعني الكولونيل في كثير ولا قليل فالتفت الى ضابط الشبانة وامره بحزم «أن يقوم بتعقيب هذه القضية» والوقوف على كل ما يتعلق بها فوراً ... ويقول الضابط : « انه قد

اخذ معه كافة الافراد من الخيالة» ولما همّ بالحركة استوقفه ليجمن وطلب من ضاري أن يرسل ابنــه خميس وبعض خيالة زوبع تعزيزاً لقوة الشبانة ، وكان ليجمن قد لمح خميس واقفاً على القنطرة التي لا تبعد عن المخفر الا قليلا . . . ذكر لي الشيخ خميس :

«انني اظن ان ليجمن قد ارتاب منا وانه لمح الشــر في عيوننا ووشاح الرصاص تحت ثيابي فأراد أن يبعد جميع مسلحي زوبــع عن المخفــر لينفرد بأبي» ..

اما الشيخ سليمان فيروي لمؤلفي كتاب «الشيخ ضاري» انه قام بتبليغ اخيه خميس بالامر ليساعد الشبانة في مهمتها واوصيته ان يكون حذراً وفطناً وهمست في اذنه ان لا يبتعد عن الخان كثيراً وكان تحفظي هذا في محله لانني كنت استشم من ليجمن رائحة الغدر ...

واراد صعب وصلبي ان يغادرا الخان مع الشبانة ولكني امرتهما بالبقاء لئلا يحدث شيء ذو بال .

ومضى خميس وجماعة من عشيرتنا وعبيدنا (يبلغون العشرة) على خيولهم مع الشبانة ، اما دحام فقد لزم مكانه تحوطاً .. واوصيت بعد ذلك الباقين من العشيرة والعبيد في الخان والجايخانة بالتأهب واليقظة استعداداً لكل طارىء ولكل قوة عسكرية او بوليسية ربما تأخذ طريقها الينا من الرمادي او بغداد .

وبعد ان احكمت الخطة عدت الى المخفر وهناك سألني ليجمن ؟ هل ذهبت جماعتك مع الشبانة ؟ فقلت : نعم . فقال وكم بقي منهم في الخان ؟ : قلت : اثنان وانا ثالثهم .

وهنــا يمكن ان نضيف الى رواية صديقنا العلوجي وعن الشيخ سليمان نفسه بان ليجمن انتهرهم كما لو انه يخاطب اطفالا :

— **يالله روحوا لاهلكم .. لا اريد احداً يبقى هنا .**

قالها واهوى بيده على يد الشيخ ضاري الذي بقي جالساً على الدكــة داخل المخفر فاقامه مــن مكانه بعصبية وسار به الى احــدى الغرف .. كان كلامه مع ضاري في تلك اللحظة اقرب الى الزعيق .

— **انت عندك اغتشاش .. تريد ان تعمل ثورة ضد الحكومة .**

— متوهم يا صاحب لست قوياً الى الحد الذي استطع معه ان اقوم بثورة .. ولست حكومة حتى اقدر على النهوض بوجه الحكومة .

وبعد أن ولجا الغرفة لا يستطيع احد ان يزعم انه سمع شيئاً من كلام الرجلين.. لا حرس الشبانة الذين ركبوا حرابهم ولزموا مكانهم بباب المخفر عندما ادوا شهادتهم امام المحكمة بعد ثمان سنوات ولا سليمان الضاري الذي كان واقفاً قريباً من الحرس .. كل الذي ذكره لنا الحاج سليمان ان صوت ليجمن كان يصل الى اذنه أشبه بالدوي ، وانه لم يسمع صوت والده الذي خمن انه كان يرد على اتهامات ليجمن ولكن بصوت خافت .

وقبل ان نسترسل مع الموقف الى نهايته نود.أن نذكر ان الذي يهم التاريخ من تلك المقابلة هو اعتراف ليجمن امام ضاري بانه كان شخصياً وراء أحداث بغداد في الليلة السابقة .

وبالرغم من ان السر ايلمر هولدين القائد العام اعتبر اخفاقهم في القبض على يوسف السويدي وجماعته حلقة مهمة في سلسلة كوارث شهر آب الا اننا نستطيع ان نقرر الآن بأن احداث تلك الليلة كانت بالنسبة الى السلطة بداية جيدة في احكام قبضتها على بغداد التي كانت تقلقها تماماً .

فغياب اربعة مناضلين اشداء من زعماء حزب حرس الاستقلال عن المدينة والشهداء الذين خلفهم هرب السويدي والاعدامات التي نفذتها السلطة بحق الوطنيين ولا سيما عبدالمجيد كنه والبيانات الحازمة التي اصدرتها بخصوص منع التجمعات وقراءة المنقبة النبوية في الجوامع وهي مناسبات طيبة استغلت في تحريض الجماهير ضد السلطة وتوجيه فعاليتها في المقاومة السلبية وقراءة القصائد والخطب الملتهبة . . كل ذلك ادى الى تصفية الموقف الى حد ما في بغداد .

بقيت امام ليجمن زوبع ورئيسها ضاري وديرتها محاددة بغداد تقريباً فكان لابد من تصفية الموقف معهم ايضاً مهما كانت الوجهة التي تتجه اليها هذه التصفية وباي شكل كان . . والذي نعتقده ان ليجمن هو الذي رتب قضية (دك) الطريق بواسطة رجال من عشيرة موالية له وإن فيزان السائق كان احد عيونه في المنطقة وقد فعل ذلك ليغمز

جنبي ضاري كتغماز التين ويضعه في مأزق مناسب يستطيع من خلاله التعامل معه خاصة وإن السلطة قد ارهقته سابقاً بالغرامات في نفس الوقت الذي كان يحمل له في جيبه الآخر اذناً من الحاكم العام وبلسن بتاجيل الديون الحكومية المستحقة عليه . وبذا فلا يمكن ان نتصور بحال من الاحوال ان ليجمن قد جرح ضاري اثناء المواجهة بيده أو لسانه جرحاً بليغاً تصعب مداواته إلا بالسيف . . ولو انه فعل ذلك لما طلب منه ـ كما افاد بعض الشهود ـ ان يذهب معه الى داره ، في رواية ، أو ان يصحبه في طلب القوة التي ذهبت لتعقيب قطاع الطرق في رواية اخرى اكثر وثوقاً . . ويظهر انهما خرجا من الغرفة هادئين ووقفا في ممر المخفر الداخلي من غير انفعال . . وعندها ربما كان ليجمن قد تهيأ لإغراء ضاري اثناء طريقهما في طلب القوة بما كان يحمل له من عروض وبعد أن اعطاه العين الحمراء في المخفر .

مهما يكن فسنستمر على تدوين سرد الشيخ سليمان للواقعة كما وردت في كتاب « الشيخ ضاري » وساعتها كان سليمان قد اعتقد ان ليجمن سوف يبطش بأبيه لا محالة « وعزمت على ان افوت على ليجمن فرصة البطش بوالدي أو اعتقاله ولم اجد انفع من الاتصال بحارسي ليجمن الواقفين بباب المخفر لاقناعهما بالتزام الحياد وعدم التدخل ، فاقتربت منهما وادخلت في روعهما انهما من دم عربي وانهما لابد ان يكونا من اهل الرمادي او الفلوجة وان شيمتهما العربية لا ترضى بإذلال ابي واهانته على مسمع منهما . . وقد حذرتهما ان يلقيا بنفسيهما الى التهلكة ورجوتهما ان يكونا معنا في هذه اللحظة الحاسمة ، وعلماً أن لدي قوة مسلحة تكمن في چايخانة الخان فخافا ان يكون القتل مصيرهما اذا سولت لهما النفس بالمقاومة . فعاهداني على ان لا يحركا ساكناً ولا يعترضا طريقي الى ليجمن اذا ضمنت لهما السلامة ، فاعطيتهما العهد ، وعندئذ قالا : دونك الرجل إعمل به ما تشاء .

وفجاة خطفت من احدهما بندقيته . . وابتعدت عنه مخافة ان يحاول استرجاعها . . وقد عزمت على قتله اذا حاول ذلك ولكنه هجم على يدي يقبلها وهو يقول : الم تعاهدني ؟ . . فاجبته : نعم . . عاهدتك ولكن على حياتك لا بندقيتك . واستعطفني طالبا الرحمة ،

وهو يولول : ماذا سيكون مصيري لو خرج ليجمن من الغرفة ورأى بندقيتي في يدك ؟.. ارحمني يا سليمان !!

فاعدت اليه البندقية، وركضت نحو الخان حيث تربض جماعتنا.. فاسترجعت بندقيتي وقدت فرسي، وطلبت من ابني عمي صعب المجباس وعفن بن حرج ان يأتيا معي بسلاحهما وفرسيهما وفرس والدي الى المخفر .

وحين وصلنا المخفر رأيت ابي خارجا من غرفة ليجمن وعلى وجهه تعبير ثائر . . وعندئذ تذكرت انه أوصانا ــ قبل اليوم ــ بقتل ليجمن حالما تقع عليه ابصارنا . فماذا عساه يوصينا الآن بعد ان اهانه ليجمن ؟ لقد عرفت ان ابي يريد قتله . .

وخرج ليجمن دون ان يقيم لنا وزناً .. حتى اذا اجتاز باحة المخفر الى المجاز القريب من الباب الرئيس ، لم نملك الا ان نقتحم عرينه .. واذ رآنا على هذه الشاكلة لاذ بابي ، فاشرت على ابي ان يروغ عنه قليلا ، وعند ذاك احتمى بالجدار القريب من الباب حيث بنادقه وبنادق الشبانة في مشجبها .. فامطرناه بثلاث طلقات اخذت طريقها في لحيظة واحدة من بندقياتنا الثلاث الى رأسه وكتفه وظهره . ويبدو ان هذه الاصابات لم تفقده صوابه ، فاتكا على الحائط .. ولعله اراد ان يهتبل الفرصة ليكون في وسعه ان يتناول احدى بنادق المشجب في مواجهتنا . وحسماً لهذا الموقف الحرج صافحته بنادقنا الثلاث بدفعة جديدة من الطلقات على مرأى من ابي ، وهكذا وجدناه بعد ان ارتهن في جسمه ست رصاصات .. يتداعى الى الارض بجوار الحائط.. واستطاع ، في لحظاته الاخيرة . ان يلوم ابي على هذا الاغتيال ، ولكن ابي اجهز عليه بضربة شديدة على راسه بالسيف » .

●

وقبل ان ننتقل الى رواية اخرى حول قتل ليجمن نود ان نثبت هنا الى اننا نطمئن تماماً الى امانة وصدق الحاج سليمان لما اشتهر به من ورع ودين وبساطة بدوية تصونه عن التزيد في الحديث ومجافاة الحقيقة واذا بدت هناك بعض الاختلافات الطفيفة في الرواية ، فمرد ذلك الى مرور سبع وخمسين سنة على الحادث ، فالحاج سليمان

قال لنا في مقابلتنا له يوم 21 /1977/5 بحضور الصديق عبدالحق نعمان احمد ، ان ليجمن لم يتبس ببنت شفة بعد اصابته مما تخالف محالفة غير ذات اثر رواية الاستاذ العلوجي الذي نثق بصدق ما نقل هو الآخر ان ليجمن لام ضاري على فعلته قبل ان يجهز عليه بالسيف .

وقد علل ان الحاج سليمان وصوله مع اصحابه من الخان الى المخفر على صهوات خيولهم وقد جنبوا فرس ابيه ليعتذروا الى ليجمن اذا حدث واستفسر منهم عن سبب رجوعهم الى المخفر بانهم عادوا لصحبة الشيخ الى داره بعد ان انتهت المقابلة وهناك رواية اخرى لتلك الدقائق دونها عبدالجبار الجسام عن خلف الهراط الذي كان قائماً بالحراسة في نقطة ابي منيصير ساعة الواقعة ومن الواضح انه واحد من اللذين عناهما الحاج سليمان بالاتفاق معه على وقوفه مكتوف اليدين ازاء قتل ليجمن جاء فيها قوله :

« كنت قائماً بحارسة المركز اما جماعتي بقية الجنود فكانوا مشغولين باعمالهم الاعتيادية في داخل المركز وقد فكر آنذاك الكولونيل ليجمن ان يلتحق بي (عبدالجبار الجسام) اذ انه كان قد استبطاني فطلب الى الشيخ ضاري ان يرافقه في هذه المهمة ، ثم امر الجنود ان يهيئوا له جواداً من الجياد الحكومية الموجودة هناك ، فقام الشيخ ضاري من مكانه وخرج من المركز كانه يحاول هو الثاني تهيئة جواده ايضا ، اما الحاكم ليجمن فبقي واقفاً في الممر منتظراً وصول الجواد اليه . . وفي هذه اللحظات عاد اليه الشيخ ضاري . ونوه سليمان لاولاد عمه (صكب وصعب) مع جماعته الذين كانوا في خان ضاري ، بين هذا الخان والقنطرة الموجودة هناك ، ولما اقبلوا على المركز بهذا الحال حاولوا الدخول اليه بسلاحهم فعارضتهم وحاولت منعهم (الحديث لخلف الهراط) من دخول المركز على هذه الصورة . . ولكن الحاكم ليجمن لم يرض عن هذا العمل واخذ في الوقت نفسه ينهال علي بالضرب وفيما انا احاول التخلص منه واذا بعدة طلقات نارية قد صوبت اليه ، ولم اسمع منه سوى جملة واحدة هي (كافي ضاري) ثم وقع قتيلا» .

والحقيقة ان الرجل ادى مثل هذه الشهادة امام حاكم الاحالة في الرمادي السيد عبدالمجيد جميل ومرة اخرى امام هيئة محكمة الجزاء الكبرى ببغداد .

ومما جاء في شهادته امام حاكم الاحالة بعد ان سرد لقاء ليجمن بضاري في المخفر ومجيء اسطة فيزان يخبر الكولونيل ان الطريق (اندك) وارسال (القوة المختلطة) لتعقيب الجناة «... وبعد ساعة تقريباً ان المعقبين لم يعودوا فالكولونيل خاطب المتهم (يمكن العرب مالك دكوا الدرب) فاجابه: المغو هذا درب كل من يجي يمشي فيه.

وإن ضاري اراد الخروج فمنعه ليجمن بقوله: لا تطلع.

فكلف ليجمن المتهم ضاري الركوب معه بالسيارة والذهاب معاً الى عرب ضاري..

فاجابه (ضاري): الطريق ما هو زين.. وفيه ماء ولا يمشي فيه الاوتوموبيل.

فامره ان يجلب فرسه من الخان ليركبا معاً لتعقيب الضابط عبدالجبار افندي.. فذهب ضاري واتى بفرسه، واتى معه خمسة خيالة لا اعرفهم مسلحين ببنادق... وكان السلاح بأيديهم بيد كل واحد بندقية. (ذكر الحاج سليمان للكاتب انهم عندما تقدموا من المخفر كانت بنادقهم بأيديهم وليست على اكتافهم) فصاروا فوق القنطرة بين الخان والمخفر.. وكنت حارساً على باب المخفر وبيدي بندقية انكليزية فمنعتهم من الدخول الى المخفر فامتنعوا فقام اليّ ليجمن فضربني (بوكس وچلاقات) فأتى ضاري مع رفقائه الى المخفر وكان ليجمن امام الكل ويعقبه ضاري ثم بقية رفقائه العرب.. وكان بيني وبين ليجمن قدر مترتين.. ان مشيته لم تكن خلف ليجمن تماماً وانما كان يمشي بجنبه والمسافة بينهما كما افاد (كذا وردت في جريدة الاستقلال العدد 1245 ولعله يقصد ضاري ولم يذكر مقدار المسافة) وفي هذه الاثناء قد اطلقت طلقات نارية قدر اربع او خمس طلقات موجهة الينا فاصابت الطلقات ليجمن وسقط على الارض وإن الطلقات حين اطلاقها كان ليجمن يبعد عن باب المخفر قدر ثمانية اذرع او عشرة.. والشاهد لا يعرف اين وقعت الطلقات من جسم ليجمن.. وقد القى الشاهد القبض على ثلاثة من العرب الذين كانوا مع المتهم ضاري وانه لا يعرفهم... ثم دخل اثنان مع المتهم ضاري الى المخفر فقبضوا عليه واوثقوا اكتافه...».

ولا ادري إن كانت عقدة الدفاع عن النفس باعتبار الشاهد قد تواطأ مع سليمان على عدم تدخله في حال قتل ليجمن هي التي دفعته

الى اعطاء هذا النمط من الشهادة وابرز ما فيها من ضعف انه لا يستطيع ان يلقي القبض لوحده على ثلاثة اشخاص ما زالوا في وضع غير طبيعي بصفتهم قتلوا اكبر راس في اللواء وقد بقيت في بندقية كل واحد منهم طلقتان على الاقل او ثلاث طلقات اذا كانت بنادقهم تركية فليس من المعقول أن لا يفرغاي واحد منهم ما تبقى من رصاص بندقيته في جسد الحارس الشاهد ، وعلى فرض ان الثلاثة قد ارتبكوا من الحادث فان الثلاثة الباقين الذين اشار اليهم الشاهد ما كانوا ليتمنعوا عن اراقة دمه لغرض انقاذ رفاقهم لو انه اظهر رغبة في المقاومة وان لا يكتفوا بتجريده من سلاحه وتسريحه لينهج طريقه على هواه ولا سيما ان الاعدام الفوري كان ينتظرهم في حال القبض عليهم جميعاً وكانوا اثناءها قد قتلوا سائق ليجمن الهندي فما الداعي الى توفيره اذا كان قد قبض على ثلاثة من المتهمين في حين ان السائق القتيل لم يبد اية مقاومة . وايضا فاننا نشك ان يكون ليجمن قد ضربه لانه منع جماعة ضاري الذين حملوا بنادقهم بأيديهم استعداداً للرمي ، ولابد ان الشر كان يطل من أعينهم ، من الدخول الى المخفر والقاعدة المتبعة . . ان لا يدخل الاهالي مراكز الحكومة مسلحين حتى اذا كانت اسلحتهم مجازة .

هل تبين ليجمن نياتهم في وجوههم واراد ان « يكسر فتنة » ؟ ان الشاهد ذكر انهم امتنعوا عن الدخول عندما منعهم . . . وهذه واحدة اخرى ، فالذي يريد قتل الحاكم يقتحم ولا يستجيب لمنع الحارس له . . ثم ان كسر الفتنة ليس من طبيعة ليجمن الشرس وهو الذي كان يكرر في رسائله لأهله تعطشه لدماء العرب . . . ! ! والأنسب في هذه الحال وهو الضابط الحصيف الشجاع ان يبادر هو الآخر الى سلاحه تحسباً لأي طارىء لا ان يضرب حارساً كان يقوم بواجبه كما ينبغي .

ولابد لنا اخيراً من ايراد رواية ضاري نفسه للحادثة كما افاد بها امام المحكمة !

« . . . ثم جاء طارش واخبر الحاكم ان الطريق اندك ، فجاء وقال ارسل ابنك خميس مع العسكر ليذهبوا الى محل الحادث ثم خاطبني الحاكم :

ان الذين خربوا الطريق هم من عشائرك .

فقلت له : لا اعرف هل هم من عشائري ام لا .

فقام علي فبصق في وجهي وسبني وسحب علي مسدسه وضربني برجله ثلاث مرات . . وانا إذ ذاك مريض وكنت اتوسل به واترحم منه . . . ثم اخذني الى غرفة وحبسني داخلها واغلق عليّ بابها ومضى . . . وبعد مدة سمعت طلقات نارية ثلاثة أو اربعة . . . وبعد جاء ولد اخي . . صلبي ففتح الباب واخرجني وعند خروجي شاهدت ليجمن مقتولا ورايت سليمان وصلبي ودحام بجانب الجثة . . . ولابد انهم الذين اصابوه . . . وبعدها ركبت فرسي وذهبت الى اهلي » وعندما سأله الحاكم عن المدة التي مضت بين حبسه في الغرفة وسماعه الطلقات لم يستطع تحديدها يزعم انه كان دائخا .

ومن البديهي ان إفادة الشيخ ضاري هذه محكمة وليس فيها اية ثغرة منطقية يمكن النفوذ منها للطعن فيها ، وقد وضعت كجزء من خطة الدفاع كما اسلفنا ولا يمكن دفعها الا بشهادة الشهود الآخرين الذين نصوا على ان الحوادث وقعت خلاف ذلك .

فالشيخ ضاري بعد ان انتهى من امر ليجمن لم يذهب الى داره كما ذكر وكما ثبت امام المحكمة من شهادة عبدالجبار الجسام وانما صحب معه مشوح الحامد واتجها الى مركز السنية ليجمع (عربانه) في سبيل مجابهة الموقف ولتأديب جودة خميس مأمور شعبة ابي غريب الذي كان ضاري (يحقد عليه) بسبب اساءته استعمال واجبات وظيفته .

وسألت الشيخ سليمان

— هل كان يريد قتله ؟

فأجاب :

— لا . . . وانما كان ينوي تاديبه « تاديب عصا » .

وفي طريقهما الى مركز السنية التقيا بفلول الشبانة المنسحبة الى الفلوجة وهي تجر ارجلها في ذلك القيظ اللاهب خشية ونصبا . . .

قال بعض الشهود ان الشيخ ضاري سال عن حسن الخادم أول ما وقعت عينه على الشبانة فلما دُل عليه عاجله بطلقة من بندقية كانت بيده ، دون سلام ولا كلام .

اما الرواية التي ذكرها لنا الشيخ سليمان فتقول :

ان الموت بعد ان وفر حسن الخادم غب مصرع الكولونيل والسائق الهندي انسحب مع الشبانة الذين جردوا من سلاحهم الى الفلوجة وهي الطية التي آثروا برغبتهم الاتجاه اليها ... وبعد ان ساروا مسافة أيقن حسن انه نجا من الهلاك فاستعاد روعه وتمالك رباطة جاشه وبدأ يقرع الشبانة على ما فرطوا به في جنب سيدهم وتوعدهم شراً لانهم اسلموا ليجمن الى قتلته دون ان يفزعوا للدفاع عنه ... وقد اتهمهم بأنهم كانوا متواطئين مع زوبع .

— زين . . . راح نوصل للفلوجة ويصير خير .

تيقن الشبانة ان حسناً اصبح خطراً حقيقياً على حياتهم وانه سوف يثير ضدهم الكثير من المشاكل ويشي بهم الى السلطة حال وصولهم الى الفلوجة فودوا لو يتخلصوا منه ولكن انى لهم هذا وقد جردوا من سلاحهم ، وبينما كانت افكارهم تغرّب بهم وتشرّق حول مصيرهم وتهديد حسن لهم اذ اقترب منهم ضاري ومشوح الحامد ، فاستجار بعض الشبانة بالشيخ ليخلصهم من البلية التي ترافقهم ، وعندها أوعز الى مشنوح الحامد بقتله ، فصرعه هذا حالا . . .

وقد احتدم النقاش بين الباحثين حول أصل صاحبي رحل ليجمن: سائقه .. وخادمه مما جعل صديقنا عبد الحميد العلوجي يقف هنيهة عند ذلك الخلاف (الشيخ ضاري ص 48/47) وقد خلص منه الى قوله « ونحن نميل الى ان خادمه كان هندياً » والسبب « ان ليجمن اخبر اهله في رسالة كتبها اليهم خلال اقامته في (البو كمال) بتاريخ 16 مارت بان حسن الخادم يتحدث معه احياناً باللغة الهندستانية .

اما نحن فنميل الى ان سائقه كان هندياً مسلماً . . وليس من (ابناء العرب) كما ذكرت جريدة (بغداد تايمس) في نعيها ، اذ لم

يذكر في اية صفحة من صفحات القضية الا بصفة (سائقه الهندي) أولا . . ثم إن الحاج سليمان الضاري الذي شهد مصرعه ما زال يأسف على قتل ذلك الهندي الغريب الذي لم يرتكب ذنباً بعد كل عشرات السنين التي مرت . . . وربما بقيت هذه في نفسه لانه سمع السائق يؤدي الشهادة وهو يجود بنفسه.. وبصدد حسن، فقد اجمع الذين راوه بانه ابيض ، احمر ، ريان ،يزين اسنانه بالذهب، ويرتدي الملابس العربية ، ويعتمر على يشماغه الاحمر عقالاً مقصباً . . وهو بهذه الصفة لا يمكن ان يكون هندياً والانسب ان يكون اهوازياً كما اخبرنا الحاج سليمان وهو الذي الف رؤيته مع ليجمن ومازال يقرف منه . . اضافة الى ان محادثة حسن مع ليجمن بالهندستانية (أحياناً) لا تدل بالضرورة على أنه من اصل هندي . . فقد يكون اخذ لغته الهندستانية هذه من الهنود الذين اعتاد الحياة معهم في معسكرات الجيش البريطاني . . . أو انه عاش فترة من عمره في الهند .

وتاكيد آخر عن حسن .. لقد اجمع الشيخان خميس وسليمان ، الضاري وبعد ان اصبحت جميع وقائع القضية في ذمة التاريخ ان الرصاصة التي فتكت بحسن الخادم خرجت من بندقية مشوح الحامد.. وان قتله لاقى هوى في نفس الشيخ ضاري الذي القى عليه نظرة ازدراء وهو يتخبط بدمه وانطلق بعدها الى مركز السنية ليصفي حسابه مع جودة خميس .. وكان هذا قد احس بالخطر فالتجأ الى ابراهيم السبع ، احد سراكيل زوبع ، (وتمكن عن طريقه من الوصول الى الفلوجة دون ان يلحقه اذى .

* * *

عاد فيزان بسيارته باتجاه بغداد بعد ان اخبر الكولونيل بشأن (المجارية) الذين سلبت قافلتهم قرب سدة الترك ، في نفس الوقت الذي تحركت قوة مختلطة لتعقيب الجناة من الشبانة برئاسة الضابط عبدالجبار الجسام ، وزوبع برئاسة خميس بن الشيخ ضاري ، وتعدادها من الجهتين يبلغ عشرين فارساً .

ويتحدث عبدالجبار الجسام عن مهمته هذه بقوله : « وسرت في الطريق العام نحو الجهة المقصودة وبعد ان قطعت مسافة رايت القافلة ، وفهمت كيفية وقوع الاعداء (عليها) ولكن مسلوباتها لم تكن ذات بال . . واستمررت بالسير الى ان وصلت الى سدة التوك فلم اجد ما يدعو للاستمرار على التعقيب فقفلت راجعاً الى مركز الشرطة » وقبل ان يصله بسبعة كيلو مترات راى « جماعة من العشائر المسلحة في الطريق العام قادمة من جهات مختلفة واخذت تقترب منا شيئاً فشيئاً وهي تقوم بحركة التفاف منظمة ولاحظت ان هذا التجمع غير طبيعي فالتفت الى الشيخ خميس الضاري مستوضحاً عن اسباب هذه المفاجاة ، وطلبت اليه في الوقت نفسه ان يمنع هؤلاء عن التقرب (منا) . »

في تلك اللحظة بدأ عبدالجبار الجسام يضيق بملابس ضابط الشبانة التي يرتديها واخذ احساسه بكونه موظفاً حكومياً يتضاءل تدريجياً . . لقد شعر فجاة انه هو الآخر ابن رئيس قبيلة . . وله كرامته وإن اي غض من كرامته المرتبطة بكرامة عشيرته سوف ينتقل بالموقف من مجابهة بين زوبع والحكومة الى مجابهة عشائرية محضه بين زوبع والجميلة . . وهؤلاء جنود الشبانة . . حقيقة انهم ليسوا من الجميلة وانما من عشائر مختلفة ، فهو مع ذلك مسؤول عنهم وإن الأذى الذي يلحق اي واحد منهم يعتبره قد اصابه هو شخصياً ولابد من ان يحاسب عليه .

يبدو ان سلطة الحكومة قد انحسرت عن هذه الديرة . . وصفته الرسمية لم تعد تجديه نفعاً . . . لو يستطيع التخلص من ملابسه الحكومية . . خاصة هذا السروال القصير الذي لم يعد يحمي رجليه من سموم آب اللهاب . . . وكانت ذرات الملح المتطايرة من السبخ تخز ساقيه واحس بوطاة حرارة الشمس المحرقة تنخر رأسه ، وادار عينيه بجموع العشائر المحدقة بهم . . انه يعرف هيئة العشائر عندما تخرج على الحكومة وخمن انهم يريدونه بالذات . . ويبدو انه افهم خميس برايه فاسرع هذا يمنع اي واحد من الاقتراب من القوة . . بله اصابتها باذى . .

حدثني الشيخ خميس الضاري : انه بينما كان عائداً مع خيالة زوبع والشبانة اذ عرض له اخوه سليمان على فرسه والح في عرضه ففهم ان شيئاً ذا بال قد وقع وانه بعرضه يطلب منه ملاقاته ليؤدي اليه الخبر الخطير فوقفت القوة ومعها خميس حيث هي بينما اطلق سليمان العنان لفرسه حتىاذا اصبحا بحيث يسمع احدهما الآخر ناداه خميس:

— **شلونك يا سليمان ؟**

فاجابه اخـوه

— **كلش زيـن . .**

واخذت الوساوس تنتاب ضابط الشبانة مرة اخرى ... لقـد اجهد نفسـه في تحليل هذه الالغاز فوصل الى حقيقة واحدة هي « ان هناك حادثة دبرت لاغتياله » والذي اعان على رسوخ هذا الهاجس في خاطره انه رأى ـ كما يقول ـ .

« دلائل الاضطراب بادية على سليمان بوضوح » . . واقلقته مشكلته العشائرية هذه المرة ايضا .اية اهانة سوف تصيب قبيلتهلو انه قتل بايدي رجال زوبع او اصابته اهانة من واحد منهم ستكـون بيننا (دگة) تسير باخبارها الركبان . . ان العشائر لا تفرط بأدنى فرد فيها ، فكيف اذا كان القتيل ابن شيخ معروف .. ان (دمه سيكون مربعاً) ولكن اباه سوف لا يقبل (الدية) مهما بلغت قيمتها . ولا بد من اعادة ذكرى يوم البسوس او يوم داحس والغبراء . . واخذت هواجسه تضايقه وهو يدير عينيه دون ان يفهم شيئاً مما يدور حوله . ولكي يخرج مما هو فيه التفت الى خميس وطلب منه ان يعلمه « بحقيقة الحال وما تنطوي عليه هذه الالغاز الكلامية والغاية من هذه الحركة وهل هي موجهة ضده او ضد غيره . ولا شك ان الخبر نزل عليـه نزول الصاعقة عندما شرح له خميس معنى جواب سليمان «كلش زين» بانهم نفذوا ما اتفقوا عليه وقتلوا الكولونيل في المخفر .

ولهذا السبب كان الزعم الذي بسطناه امام القارىء من ان زوبع كانت قد بيتت قتل ليجمن قبل زمن من قتله فقد غادر خميس المخفر قبل ان يتلاحى ليجمن وضاري وفهمه جواب اخيه سليمان (كلش زين) بانه يعني قتل ليجمن يدل علىانهم اتفقوا علىقتلهمنذامد ومنهذهالنقطة

انطلقت في الحديث مع خميس الضاري حول نوايا ابيه من ليجمن تذكر لي قضية اراضي الشمار . . التي نوهنا عنها سابقاً .

ويذكر الضابط بأنه بينما كان يفكر في النبأ الذي سمعه انصرف « خميس للمحافظة على الوضع وخاصة على سلامة جنود الترك وسلاحهم » .

اما الشيخ سليمان الضاري فانه طلب الى عبده ان يجردني من مسدسي . . وقد كرر الطلب وبعبارة ما زالت عالقة بخاطري (خذ المسدس من عبدالجبار) .

تردد الخادم في بادىء الامر ولاحت عليه امارات الحيرة ولكنه شعر انه مجبر على تنفيذ ما أمره به سليمان فتقدم من الضابط وابتسامة حياء تلوح على وجهه ومد يده الى جنبه ليخرج المسدس من ترابه « اما من ناحيتي ـ والحديث للضابط ـ فان هذا الطلب كان له الوقع العظيم في نفسي لانه كيف يجوز لمثلي ان يسلم سلاحه على هذه الصورة الشنعاء واية اهانة تترتب علي وتلصق بعشيرتي لو صح هذا الامر » .

« لقد صممت إن هو استمر على طلبه او أصر على تنفيذ هذه الرغبة . . ان اعمد الى اهانته مهما كلفتني هذه الاهانة من ثمن ومهما تكون النتائج لأن ذلك ادعى لشرفي وشرف عشيرتي . . وفيما أنا افكر في هذه الحال . . . واذا بالشيخ خميس يقدم علينا من جهة اخرى حيث علم ما بدر من أخيه سليمان من عمل فصمم على قتله بينما تسلل سليمان من بينهم ، واذ رأى الضابط ان الأمر قد تطور بين الاخوين اقتفا اثرهما وحال بينهما « وبعد أن هدأ خاطر الشيخ خميس عاد معي . اما الشيخ سليمان فلم يعد وبقي هارباً . . ثم واصلنا سيرنا متوجهين الى مركز (ابو منيصير) ولكن قبل ان نصله عاد الينا الشيخ سليمان وقد اتجه نحوي واخذ يقبلني ويعتذر الي عما بدر منه . . وكان عذره انه كان في حالة مضطربة وفي وضع مرتبك نتيجة قيامه بقتل ليجمن مما جعله لا يعرفني مع انه قد ناداني باسمي ثم انه اراد ان يخفف من انفعالي بلطف فقدم الي عباءته ذات اللون الابيض ووضعها بيده على رأسي لأن الحر كان شديداً وحرارة الشمس لا تطاق . . . . » .

سألت الشيخ خميس : هل تم تجريد الضابط عبدالجبار الجسام من مسدسه ؟
فأجاب : لا

وسألت الحاج سليمان عن قصته مع الضابط فقال لي : انني لم آمر العبد بتجريد الضابط من مسدسه وانما تطوع هو من تلقاء نفسه ـ واسمه عبدالمسك ـ لهذا العمل بعد ان رآنا نجرد الشبانة من اسلحتها وبقي هو من دون شغل وقد نهرناه على عمله هذا . . . وأذكر ان عبدالجبار الجسام مر بي ذات يوم وقال لي اريد ان اتذاكر معك حول بعض الاحداث لأنني اريد ان (اعمل تاريخاً) فابديت استعدادي لمعاونته . . واثناء ما كنا نتحدث قال لي : انني كتبت عنك بانك امرت عبدك بتجريدي من مسدسي . فانكرت ان اكون صنعت شيئاً بزعم وقد أوقفت المذاكـرة معه على ان نلتقي سوية بخميس ويكون هو الشاهد على زعمه أو زعمي وبعد ان انصرف لم ار وجهه ثانيـة .

ورواية الحاج سليمان هذه تشير الى انهم جردوا الشبانة من سلاحهم قبل دخولهم الى المخفر وهناك رواية اخرى حول هذا الام سنتطرق اليها عما قليل .

* * *

بدت لهم سيارة الحاكم عندما وصلوا الى المخفر وبجانبها سائقها الهندي مقتولا . . واول ما وقعت عليه عين خميس تساءل من اخيه سليمان مستنكراً ؟ .

ما ذنب هذا الرجل المسكين ؟ وما هو الموجب لقتله .

يقول الجسام في مذكراته ان سليمان سكت ولم ينبس ببنت شفه، اما في شهادته امام المحكمة فانه ذكر بان سليمان قال له .

لم نرد قتله وانما قتله العبد الملعون .

ويصف الجسام دخوله المخفر بقوله : « واما انا فقد دخلت المخفر وفي ممره تماماً رايت الحاكم ليجمن مقتولا ومطروحاً على الارض وكان الدم يتفق منه بغزارة مما دلني على انه مطعون بآلة حادة حكمت في صدره بعد قتله » الا انه « لم يجد من الوقت ما يساعده على تشخيص كيفية قتل الكولونيل ومعرفة مواضع الرصاص النافذة فيه . . كما انه لم ير احداً من الجنود الذين ابقاهم في المركز ولم يجد الشيخ ضاري ولا احداً من اتباعة . . كان المخفر خالياً . . . » الا منه ومن جنود الشبانة الذين كانوا بصحبته كما ان خميس وجماعته الذين يرافقوه لتعقيب الجناة كانوا معه ايضا . . وكانت تبدو في الافق البعيد فرسان زوبع وقد غادروا مضاربهم او بيوتهم من هنا وهناك واتجهوا الى مضيف ضاري في صدر العبادي .

انها الثــورة

وهكذا ودع الضابط باسي وحسرة نفوذ الحكومة وسطوتها عند باب مخفر ابي منيصير .

« والله سويتوها دگة يا زوبع » وعن قريب ستعلمون ماذا تجر عليكم هذه العملة السودة من ويل ونكال ، انه ليجمن الذي قتلتموه وليس راعي غنم يمكن ان يذهب دمه هدراً . . . سوف ترون » .

قالهــا في تلك اللحظة احـد لصوص الماشية الذي حضر الديرة يطالب احد الزوبعيين بثمن ثلاثة حمر باعها له نسيئة وماطله الزوبعي بثمنها وقد ادى لهذا السبب شهادة مغرضة ضد ضاري امام المحكمة .

فنهره احد الواقفين بقوله :

— امشي هذا مو شغلك .

اما زوبع فقد نظرت الى الموضوع ببساطة متناهية . . لانها سبق ان اختارت الثورة وها هي ازاءها .

« تهون يا زوبع . . »

انتم بدو ورجال معارك وقد شهدتم مواقع كثيرة قبلها كانت لكم او عليكم . . . اما اليوم فانه يختلف عن الايام السالفة . . . انه بياض الوجه . . والواقعة التي ستكون حديث الدواوين في كل فجاج الجزيرة . . لقد نحرتم كبش الانكليز في العراق .

وتقدم خميس من الضابط وكان قد نهر العبد قبل قليل لانه اراد تجريده من مسدسه مراعاة للعرف العشائري . . وقال له :

ان خيول وبنادق الشبانة هي ملك الحكومة ولما لم يعد للحكومة وجود في هذه الديار فانها يجب ان تكون غنيمة لزوبع ولا سيما انهم عما قريب سينازلون جنود الدولة وهم بحاجة الى جميع العدد التي تقع تحت ايديهم .

ويذكر ضابط الشبانة « انه لم يجد سبيلا الى المعارضة اذ قد يجوز ان تؤدي مما نعته الى رد فعل وقد تخلق اموراً اخرى » بينهم . **فوافقت على ما طلب و (سلمته) فعلا الاسلحة وجياد الترك . .**
وقد عفت زوبع عما سوى ذلك من عرض وغرض . .

ثم التفت الى جنوده وخيرهم بين البقاء معه والتوجه الى الجهة التي يقصدها او انهم يسلكون الطريق العام الى الفلوجة .. فاختاروا الشق الثاني وفي الطريق التحقوا برفاقهم من الجنود الذين كانوا في المخفر ومحطة القطار . . .

تعطلت سيارة اسطة فيزان مرة ثانية بسبب عطب اصاب اطارها ايضا ، ويبدو ان عطلها هذه المرة استمر فترة طويلة تمتد زمنياً من خروج الشبانة من المخفر في طريقهم الى سدة الترك الى ما بعد مقتل ليجمن باكثر من ساعة . . وتوقفها هذه المرة ولتلك المدة الطويلة يلفت النظر حقاً ، فاذا علمنا ان السيارة كانت جاهزة للعمل عندما وصل اليها سليمان وجماعته بعد مغادرتهم المخفر فيكون مثل هذا التوقف بسبب من المهمة التي انيطت بها في المنطقة كما اسلفنا .

لقد عرفنا ممن كان مع اسطه فيزان في سيارته اثنين هما مساعده مهدي بن الحاج كاظم من اهالي الفلوجة وشخصاً آخر اسمه صلبي بن ملا كريم ، من اهالي الرمادي ، واغلب الظن ان حمولة السيارة كانت مقتصرة عليهم ..

كان العطش قد نال من سليمان وجماعته بعد مغامرتهم الجريئة عندما لحوا السيارة من بعيد فاتجهوا نحوها وعندما وصلوا اليها طلب أحدهم من معاون السائق ان يفك لهم رباط القربة الموضوعة الى جانب السيارة ليرووا عطشهم ، فامتثل للامر حالا ، وبعد ان اصابوا حاجتهم من الماء انطلقوا لملاقاة مفرزة الشبانة التي كانت بصحبة خميس ، ولكن واحداً منهم ما لبث ان ثنى عنان فرسه وكر راجعاً الى السيارة . . القى نظرة على من في السيارة ، وبعد ان ثبت شخصاً بالذات ترجل عن فرسه . . . كان يحمل بيده ثلاث بنادق . . واحدة كانت بندقيته الخاصة التي جاء بها من اهله واثنين كانتا غنيمته من المخفر .

سأل دحام الفرحان صلبي الملا كريم ، الذي كان جالساً في مكانه من السيارة :

الست الذي لم تهتم بسؤالي عندما طلبت منك معلومات عن الجيش الانكليزي في جايخانة الخان ؟

قال ذلك وهو يحرك يده ويدفع اطلاقة الى سبطانة البندقية . . ارتبك صلبي وامتقع لونه وقبل أن يجيبه بشيء انكب على يده وقال له: دخيلك . . .

لانت ملامح دحام ، بعد انهيار غريمه ، وهو شخص أسمر اللون مربوع القامة ، بدين الجثة ، فادار فوهة البندقية عنه ، وامره بالنزول.
نزل صلبي وهو لا يعرف ماذا يراد به ولكن دحام سلمه عنان فرسه وبندقيتين خاليتين من الرصاص وحل في مكانه من السيارة ، وقال له : اتبعني بهذه الاشياء الى اهلي واذا ارتبت من احد فقل «انا بوجه دحام». قال ذلك وخمن ان كلامه ما زال غامضاً بالنسبة لمن حوله .

ــ لقد قتلنا ليجمن .. وجعلناه مركي .. وهذه بنادق الحكومة .
وعندما تحركت السيارة نحو صدر العبادي لتوصل دحام الفرحان الى اهله كان صلبي المجباس قد رجع ادراجه فاستلم البندقيتين والفرس من صلبي الملا كريم .

وصلت السيارة الى دار دحام الفرحان ونزل ركابها منها ثم توجهوا معه الى مضيفه . كان الجو ملتهب الحرارة وكانت الاحداث اشد التهاباً منه ، فلم يجد انسب من الخبز والرقي يقدمه لضيوفه

الذين اكرهوا على هذه الضيافة .

الا تدعنا نعود الى اهلنا يا لاجي خير ؟

اننا على وشك ان نضمن من هنا ولن اتركم تغادرون هذه الديرة ما لم تعد إليّ فرسي .

وبعد مدة قصيرة من الزمن كان صلبي المجباس قد عاد اليه بفرسه ، فترك ركاب السيارة لشأنهم .

* * *

لم يشأ خميس الضاري أن يتخلى عن عبدالجبار الجسام في تلك الظهيرة من قيظ آب ، وفي موقفه الحرج . . فهو على اية حال جارهم وابن حمولة ثم ان الرجل لم يتسبب بأية مشكلة .. ويذكر الضابط «بانه شخصياً فضل الذهاب الى محل الشيخ ضاري لأن الوضعية العامة كانت تستدعي ذلك . . .

«فتوجه اليه بصحبة خميس وسليمان وولدي عمهما صكب وصعب .

وفي طريقهم كان يرى سيول العشائر تتدفق من كل حدب وصوب، وكانت التجمعات قائمة على قدم وساق والكتل تزداد في كل مكان مروا به ، وكانت الجموع تهوس الهوسات المعتادة في مثل تلك المواقف «مما جعلني اثق بأن هذه الحركة لم تكن وليدة يومها وانما هي مدبرة قبل ان يقتل الحاكم ليجمن او بالاحرى قبل اليوم الذي سافر فيه الى بغداد» .

ومع ذلك فقد شعر بالدعة والأمن ، وهو يرى رؤساء القبيلة يتوددون اليه ويبدون احترامهم له في كل مناسبة ويخففون عنه عناء اليوم الذي مر به . وبينما هم في طريقهم الى المضيف ولما يصلوه بعد حاذاه صكب وقال له .

ـــ هل ترى تلك الراية يا عبدالجبار الجندي ؟

ـــ نعم

ـــ انها جموع عمامك آل فرحي (فرقة رحالة من الجميلة) .

وعندما وقعت عينه عليهم اكبرته العزة بعمامه وشعر بمزيد من الثقة والاطمئنان . . فهو لم يعد وحيداً في ديرة زوبع وانما صار بقربه من يذود عنه ويفتديه بنفسه اذا حزب الامر وجد الجد .

وتقدم منه رئيس الفرقة نايف آل محمد الظاهر فسلم عليه سلاماً خفيفاً وقال له وهو يشير الى مسدسه :

ـــ الحلية يا ابن العم ؟

اسودت الدنيا في عيني (الشيخ عبدالجبار الجسام) وكتم في صدره غيظاً طافحاً ، فاذا كان لعمل الشيخ سليمان مايبرره من الاسباب والعوامل ، وقد يكون في تلك اللحظة غير معاتب أو انه قد حسب أن لا قيمة للعتاب لانني من عشيرة وهو من عشيرة اخرى ولكن ما هو عذر ابن العم نايف آل محمد الظاهر . . . .

ومع ذلك فقد اجابه . بعدم اكتراث وهو يتابع مسيره الى مضيف الشيخ :

ـــ سهل يا ابن العم كل شيء يصير على كيفك .

كان مضيف الشيخ خيمة كبيرة من الشعر تقوم على اعمدة ضخمة من الخشب وقد تجمعت العشائر بعضها داخل المضيف وبعضها حوله . . وبعد ان استراح قليلا استأذن من خميس الضاري بالعودة الى اهله الذين لا تبعد ديارهم سوى مسير ثلاث ساعات ، فاصر خميس على رفض الطلب ، ولم يكن الشيخ ضاري موجوداً ثم قال له وهو يضحك :

ـ لم تعد ملابس الحكومة هذه تلائمك ، الافضل أن تعود الينا . . .

قال له ذلك وهو يقدم له بدلة كاملة من الملابس العربية (صاية وسترة من القماش الشعري وفترة وعقال) وكانت عباءة سليمان ماتزال معه

وبعد دقائق عاد الى المضيف وعليه ملابسه العربية وجلس مع باقي اخوانه على المنسف الذي «كان عليه غذاء ممتازاً حقاً» وضم جمعاً كبيراً من العشائر التي كانت قادمة من أماكن مختلفة .

ولما انتهى من طعامه وقيلولته رافقه عدة اشخاص بعث بهم خميس الضاري لايصاله الى ديرته «وقبل أن نصل الحد الفاصل بين عشيرة الجميلة واراضي زوبع شاهدت اخواني وجماعة من عشيرة الجميلة متوجهين الى زوبع ولما راوني هرعوا إلي فرحين ومهنئين بسلامة الوصول . . .

بقي أن نذكر انه ادلى امام المحكمة بانه مكث في دار ابيه ليلة واحدة ثم توجه مع ابيه الى الفلوجة لحماية الامن فيها .

* * *

نعت جريدة (بغداد تايمس) ليجمن بقولها :

«ننعي بكل أسف وفاة اللفتننت كولونيل جيرالد . اي . ليجمن س .اي. ني من آلاي سوسيكس الملكي الملحق بالادارة الملكية في العراق المتوفي ، في خان النقطة ، في 12 آب وعمره 40 سنة . والظاهر ان قتله جرى عمداً وإن قاتله هو خميس أكبر أولاد الشيخ ضاري المحمود زعيم عشيرة الزوبع وقد فتك به وهو ضيفه وفي الليلة التي كان فيها نائماً تحت خيمته وقتل معه حوذي سيارته وهو من أبناء العرب . . ووجد جثمان المقتول بعد قليل في الخان فحمل الى الفلوجة ودفن في احدى المحطات العسكرية» .

وقد كررت المس بل هذه النغمة فذكرت «ووقع الكولونيل ليجمن فريسة للحقد الذي كان يحز في نفس أبرز شيوخ العشائر النازلة على طريق الفلوجة الذي كان ليجمن يزوره في مخيمه حيث كمن له ابن الشيخ فقتله حالما خرج من الخيمة . . . » .

ان للقبائل العربية تقاليد راسخة في معاملة الضيف عموماً والضيف العدو بصورة خاصة ، وهذه التقاليد لا تسمح باية حال من الاحوال قتل الضيف تحت خيمة المضيّف ولا حتى على بعد يسير منها أو في وقت قريب من وقت الضيافة . . وما كان لزوبع وكانت

في ذلك الوقت قبيلة شبه بدوية ان تخرج على تلك التقاليد خروجاً يكسبها العار بين القبائل . . وهي لم تخرج فعلاً . . .

فقد طلب ليجمن مقابلة ضاري في مخفر ابي منيصير وهذا المكان اشبه ان يكون خاصاً بليجمن ولا علاقة لضاري به .

كما ان ليجمن امضى ليلته تلك في بغداد وادى مبيته المشؤوم فيها الى قتل واعدام عدد كبير من الوطنيين والليالي التي قبلها كان قد قضاها في الرمادي او في تدمير القرى العربية وكانت الخاتون وجريدة بغداد تايمس ونعيها اشبه بالبيان الرسمي ـ يعلمون ان جثة ليجمن التقطت من داخل المخفر ولم يعثروا عليها في (صدر العبادي) او في الطريق اليه ليلصقوا هذه الفرية الظالمة ببدوي نبيل لا يمكن أن يفرط بتقاليد قومه او يخرج على مأثوراتهم . . .

وهذه الكذبة اقرب الى الغيظ الذي طفح به اناؤهم . . بعد ان فجعهم ضاري بجندي محنك من جنودهم . . . وبعد ان كدر صفو الأمن في محافظة واسعة الارجاء . .

سألت الشيخ خميس عن قوة زوبع غب إعلانها الثورة في منتصف آب 1920 فوزعها على الافخاذ كما يأتي :

أ ـ الكروشيين 500 مقاتل

ب ـ السعدان 1500 مقاتل

جـ ـ الحمام ومن تبعهم 1500 مقاتل

د ـ الشيتيين 500 مقاتل

وهو رقم يقترب جداً من تخمين الفريق هولدين الذي اضاف اليه مقاتلي العشائر الاخرى الذين حالفوا ضاري وآزروه فكان حسب تقديره (7500) مقاتل يمتلكون تسعمائة بندقية حديثة والفين وخمسمائة بندقية قديمة صالحة للاستعمال (وكان الثوار يستخدمون المسدسات والسيوف والخناجر) .

وقد تسببت هذه الثورة في انحسار نفوذ الاحتلال على طول خط الفرات الأعلى من عانه الى جنوب الفلوجة التي بقيت هي والرمادي شبه محصورتين بحاميتهما فقد قطعت زوبع خط سكة الحديد بين بغداد والفلوجة يوم 14 آب فتهددت حامية الفلوجة بالحصار فأرسلت القيادة في بغداد خمس بواخر حربية من الرمادي الى الفلوجة يوم 15 آب لتموين حامية الفلوجة بالارزاق والعتاد حتى اذا اقتربت هذه البواخر من مدينة الفلوجة رست اثنتان منها على الشاطيء اثر النار المكثفة التي سددت عليهما ففاجأهما الثوار وقتلوا جميع الملاحين الموجودين فيها ، ثم هجموا على البواخر الاخرى فأضرموا فيها النار وغنموا جميع ما وجدوه فيها من ارزاق وعتاد (تاركين رجالها من غير سوء) هولدين 229 .

وفي الساعة الرابعة والنصف من صباح اليوم التالي سارت قوة من الرمادي بأمرة المقدم نورمن المنتسب الى وحدة الخيالة الخامسة للانتقام من القرى التي قام رجالها بنكبة البواخر سالفة الذكر وتتألف هذه القوة من :

- سريتين من وحدة الخيالة الخامسة
- حضيرة من البطرية 96 (مدفعية الميدان الملكية)
- سريتين من وحدة المشاة (جات) 6/2

ولم تصب هذه القوة إلا نجاحاً يسيراً فقد عادت الى الرمادي واعتذر هولدين بان الادغال حالت دون أن تتكلل مهمتها بالنجاح الذي يشفي غليله .

وفي 16 آب هاجم الثوار الجيش الانكليزي ليلا وتقدموا نحو الفلوجة وهناك دعا الشيخ ضاري نخبة صالحة من رؤساء العشائر منهم رئيس عشيرة جميلة ورؤساء البوعيسى ووجوه عشائر زوبع وبعض رؤساء بني تميم الى الاجتماع في دار مشوح الجاسم أحد رؤساء الجميلة وخطب فيهم يحرضهم على الثورة . . فالتف حوله عدد من العشائر المجتمعة وعاهدوا الله على مقاومة اعداء الدين والبلاد وحلفهم السيد محمود رامز الذي حضر الاجتماع بكتاب الله على الوفاء.

وقد قطع احد افخاذ بني تميم بالاشتراك مع ضاري وخيالة زوبع سكة حديد سامراء مما يلي التاجي . . .

هـذه الثورة هددت بغداد بالحصار خاصة بعد ان انتفض عدد كبير من قبائل دجلة من بغداد الى الموصل .

ويذكر هولدين انه امر العميد ساندرز بأن يتولى القيام بالحركات اللازمة لاعادة فتح خط مواصلات الفلوجة . . ولم يتيسر البدء بذلك إلا في اليوم الثالث من ايلول . . بدات العمل هذا سرية الاستحكام «ومعها جماعة من العمال وتحرسهم جميعاً وحدة المشاة الـ116/2 (مهراتا) ومدفعان محمولان وبعض السيارات المسلحة ولقيت السرية في سبيل ذلك مقاومة باطلاق النار من بعيد كل يوم فسببت لها بعض المتاعب ، وسرعان ما رد لهم رجال المدفعية ذلك صاعاً بصاع. وفي العشرين من ايلول نقلت الجماعة هذه معسكرها من بغداد الى خان النقطة بعد ان عززت بمدفعي قوس 6 عقدة وسريتين من وحدة بايثيرز 12/1 وفي اليوم التالي دكت قلعة الشيخ ضاري دكاً (كذا) وقطع الماء عن مزارعه . . . ثم اتموا تشييد المعاقل على طول الخط . . .) .

والذي لم يذكره هولدين عن بناء المعاقل هذه وقد اعتاد في كتابه تجاوز خسائر الجيش البريطاني ـ ان الثوار تمكنوا من اسقاط طائرة انكليزية حربية من قاذفات القنابل واسروا ملاحيها غير ان الشيخ فهد الهذال توسط لدى زوبع واعادهم الى بغداد وقد اصدرت حكومة الاحتلال بلاغاً بهذا الصدد جاء فيه :
«اضطرت احدى طائراتنا الى النزول هناك قرب الفلوجة وركابها مأسورون عند فخذ من افخاذ عشيرة زوبع . . . » .

وحدثني الشيخ خميس الضاري عند تلك الفترة فقال : ان اسوأ ما اصابنا من الطائرات الانكليزية انها كانت تتجاوز المقاتلين الى القرى التي خلفوا فيها نساءهم واولادهم فتقصفها قصفاً شديداً وكان هذا الاسلوب من القتال يفت في عضدهم ويصرف اذهانهم الى بيوتهم التي كانوا يرون النيران تشتعل فيها من بعيد .

ويذكر ان ضاري بعد ان فاته النصر جمع اهله ورؤساء زوبع وردعهم بقوله : **ان هذا هو امر الله وتلك هي مشيئته وهو مقدر علينا**

محتوم ، واني اوصيكم ان تكونوا رجالا صابرين على البلوى وعلى ما يصيبكم واتفقوا ولا تتفرقوا . . . وبعد ذلك اخذ طريقه الى كربلاء فالوند واجتمع هناك بزعماء الثورة . يذكر الشيخ فريق المزهر آل فرعون ان ضاري بعد ان اجتمع بالرؤساء (ورأى نظامهم وانتظامهم ظن بانه اقتبس منهم درساً فطلب اليهم اعطاءه 700 خيال ليذهب بهم الى لواء الدليم وهو ملزم باثارة سكان اللواء كله رغما على نفوذ الرؤساء الذين ذكرناهم فوافقه الزعماء وفعلا وضعوا تحت‌تصرفه العدد الذي اراده من الثوار وذهب بهم الى اطراف قضاء الفلوجة من الجنوب وهم يجهلون تلك الطرق وتلك الاماكن ولكنهم منقادون بأمره حسب ارادة القيادة العامة للثورة ولكنه لم يبق في تلك الاماكن غير ثلاثة ايام عاد بعدها الى الثوار في كربلاء دون ان يقوم باي عمل يذكر وذلك لعدم اقتداره على القيام بالتنظيم الذي هو اساس القيام للثورة وتوسيع نطاقها وقهر الاعداء . . . الخ » .

وعرضنا هذه المعلومات على الشيخ خميس فانكر ان يكون ابوه بحاجة الى 700 خيال من الفرات الاوسط في الوقت الذي كان تحت امرته اكثر من اربعة آلاف مقاتل من زوبع نفسها مع آلاف اخرى من مقاتلي عشائر المنطقة ولكنه كان قطعاً بحاجة الى السلاح . . . ولا اعرف ان والدي وصل الى اطراف الفلوجة مع الخيالة الذين عناهم فريق المزهر آل فرعون . . . وليس من المعقول ان تتم مثل هذه الحادثة دون ان اعلم بها . . والاسباب التي ادت الى فشل ثورة زوبع هي نفس الاسباب التي ادت الى فشل الثورة في الميادين الاخرى ومن ضمنها ميادين الفرات الاوسط على ان ثورة زوبع الذي ثبت انها مرتبطة بعموم ثورة العشرين كانت تتهدد بغداد نفسها بالحصار وكانت لا تبعد عن مركز السلطة سوى بضعة عشر كيلومتراً مما جعل السلطة تهتم بها اهتماما بالغا وتعمل على قمعها باسرع وقت ومع ذلك فقد استمرت اكثر من شهر ونصف الشهر ويمكن القول ان زوبع في ثورتها صارت بين نارين نار رؤساء القبائل الموالين للانكليز وكانوا قوة ذات اثر فعال ونار الجيش الانكليزي الذي كان يمتلك وهو يقاتل زوبع خلال شهر ونصف اقصر خط مواصلات مع مركز السوق والتموين . . وما اشار اليه خميس الضاري من ان زوبع كانت بحاجة الى السلاح لا الى الرجال يمكن وضعه ضمن الاسباب الاخرى التي ادت الى فشل الثورة . . .

والشيخ علي السليمان وإن لم يشترك في قمع ثورة زوبع الا انه حال بنفوذه دون امتدادها الى عشائر الدليم الأخرى . . اما فهد الهذال فالظاهر انه لم يقطع جسوره مع زوبع بدليل انه توسط لديهم فاكرموه باطلاق سراح مقاتلي وملاحي الطائرة الانكليزية .

نزل الشيخ ضاري في دار حسين الددة بكربلاء وقد اكرمه اكراما لا مزيد عليه واصبح ضاري هناك قبلة تتجه اليه انظار المجتمع الكربلائي وبعد ان بدأ ساعد الثورة يضعف هناك تهدد الشيخ فخري آل كمونة ـ على ما رواه لنا خميس الضاري حسين الددة بوجوب اخراج ضاري حالا من داره . . ومن كربلاء فانصاع هذا للتهديد وودع ضيفه بعد ان زوده بكل ما يحتاج اليه الذي يضرب في الصحراء وقد عرفنا من رفاقه في هذا السفر السيد محمد الصدر وعبدالهادي بن جواد آل عبدالرزاق الجلبي وبينما هم في طريقهم الى النجف وقعو باسر فرقة من عشيرة الصقور فسلبوا افراس الشيخ ضاري وساعة السيد محمد الصدر . . . وقد تداركتهم فرقة من شمر فزودتهم بعدد من الابل . . واوصلوهم الى النجف . . . ويذكر العلوجي ان الشيخ ضاري قرر الذهاب الى ابن رشيد في حائل ولكن الانباء التي وردت ذكرت ان ابن رشيد محاصر ولذلك آثر النزول في منطقة عين عطيه والطكطكانة جنوب النجف . . ثم رحلوا بعد ايام الى مضارب مطلق بن عايش وبرغش التمياط رئيس عشيرة التومان في جنوب العراق فأكرموا مثواهم وساعدوهم وارفقوهم في الطريق ووهبوهم عدداً كبيراً من الابل . . وفي هذه المسيرة خلفوا كربلاء على يمينهم ووصلوا الشامية من جهة الشط وهناك ودعهم التومان . . وبعد رحلة شاقة وصلوا منطقة الجنابيين من جهة الشامية فاحتفوا بهم ورحبوا بمقدمهم واركبوهم شختوراً ركبه الشيخ ضاري وابنه سليمان وصحب وحسين . . واحد العبيد وعبروا الشط ظهرا ثم امتطوا الخيول متجهين نحو الجزيرة . .

وهناك التقوا باهلهم في ارض الغضا مقابل سامراء . . وكانت زوبع على ابلها ورحلوا جميعا ليلا ونهارا حتى وصلوا مناطق شمر ثم رحلوا صوب سنجار حيث مصائف شمر . وقد بقي سلمان هناك. اما ضاري وابنه خميس فقد حلا في كفر توثا في ماردين .

وسالت خميس الضاري عن نشاط والده هناك فذكر لي :

ان عجمي باشا السعدون وضاري المحمود وعبدالرزاق منير وحميد باشا الفرحان اتصلوا بوالي ديار بكر نهاد باشا للاتفاق معه على القيام بحركات ضد الانكليز في العراق الا ان ضعف القوات التركية واهتمامها بصد الجيوش الاجنبية التي داهمت الاناضول وهرب مصطفى كمال باشا الى انقرة حال دون ذلك وبعد مدة اتصل بهم عجيل الياور وسعيد ثابت . . فواعدهم الاتراك بانهم يقدمون لهم السلاح اذا وفروا المقاتلين . . الا ان اهتمام مصطفى كمال بتركيا نفسها جعلهم لا يلتفتون الى مطاليبهم . . .

. . . وبعد كل هذا العرض فهل يمكن محاكمة ضاري بدعوى شخصية . . .

* * *

امام محكمة الجزاء الكبرى ببغداد طالب له الادعاء العام والذي يمثله خالد الشابندر بالبراءة أو لنقل انه ترك الحكم لوجدان المحكمة وذلك بعد ان اوضح ان المتهم سيق الى المحكمة بتهمة قتل ليجمن فقط . . وبنتيجة المحاكمة افاد كل الشهود ان الكولونيل ليجمن كان جالساً مع المتهم في المجاز . . وبعد برهة اطلقت طلقات نارية اصابت الكولونيل فوقع قتيلا وقد افاد قسم من الشهود ان الجروح التي كانت بجثة الكولونيل كانت حاصلة من غير الطلقات النارية . . وقال البعض منهم ان جرحاً بسيف كان في كتف المقتول . . واتفق جميع الشهود على عدم وجود بندقية عند المتهم وانهم لم يذكروا سبباً لاطلاق العيارات النارية . وقد دافع المتهم انه كان مسجوناً عندما اطلقت الطلقات النارية وعند خروجه من غرفة سجنه راى أولاد اخيه والرجال الذين كانوا معهم واقفين حول القتيل .

هذه خلاصة الشهادات والافادات واما الكتابان اللذان شهد بهما أحد الشهود . . وافاد انهما وصلا الى والده وإن والده اوصلها الى الحاكم وقد اظهر الشاهد انه لا يعرف من اوصلها الى والده ، وان المتهم اظهر انه يعرف القراءة والكتابة وان هذين الكتابين ليسا له ، وكذلك التوقيع عليهما ولا يوجد في التقرير الطبي اثر لذكر الجروح التي جاء ذكرها في المحكمة . . ولما كان المتهم مسوقاً الى المحكمة بتهمة قتل الكولونيل ليجمن فقط فان مقام الادعاء العام لا يرى مجالا للبحث عن مقتل حسن وسائق السيارة . . . » .

ومما يلاحظ في مطالعة الادعاء العام هو الاشارة الى تقرير طبي في الوقت الذي اكد حاكم الاحالة في الرمادي انه مفقود وكذلك تأكيده ان المتهم سيق بتهمة قتل ليجمن فقط بينما اصدرت المحكمة ضده حكمين . . . وفي هذا مخالفة للاصول الجزائية وقد طالبت هيئة الدفاع بعد قليل من انتهاء مطالعة الادعاء العام المحكمة بحصر المحاكمة عن قضية ليجمن فقط (واذا لاحظنا نص التهمة نجدها تتضمن ثلاث نقاط ، الاولى تتعلق باتهام موكلنا بالاشتراك في قتل ليجمن والثانية تبحث بقتل حسن والثالثة تشير الى مقتل الهندي) .

فهل حور الادعاء العام مطالعته خاصة للدفاع عن ضاري . . ؟

وحول اختصاص المحكمة . . قالت هيئة الدفاع :

«احالت محكمة الاحالة في الرمادي موكلنا الشيخ ضاري المحمود وفق المواد 213 و214 بدلالة المواد 54 و55 من قانون العقوبات البغدادي للعابها انه اشترك في قتل الكولونيل ليجمن وخادمه حسن وسائق سيارته الهندي . فنحن دفاعاً عنه نقول :

قبل الدخول في اساس الدعوى لابد لنا من ان نناقش نقطتين مهمتين تختصان بصلاحية المحاكم العراقية لرؤية هذه القضية موضوعة البحث . الاولى: هل من مسوغ لمحاكمة الشيخ ضاري من اجل الوقائع المذكورة في التهمة من قبل المحاكم العراقية. والثانية: هل للمحاكم العراقية ان تحاكم الشيخ ضاري عن حوادث غير حادثة الكولونيل ليجمن . ؟»

1 ــ هل من مسوغ لمحاكمة الشيخ ضاري من أجل الوقائع المذكورة من قبل المحاكم العراقية .

2 ــ كما كانت الواقعة في عهد حكومة الاحتلال ، لم يكن مصير المملكة العراقية متعيناً . بل اذا نظرنا الى حالتها يومئذ حسب القوانين الدولية نجدها اما جزء من مملكة عثمانية او مملكة تحت سيطرة المحتلين .

وان الجرائم التي يرتكبها افراد تلك المملكة انما تكون ضد تلك الحاكمية المسيطرة على البلاد حيث ان نظرية العقوبة انما هي لقاء الاخلال بالامن واحداث الارتباك . ولما كان الامن يومئذ مضموناً من الحكومة المحتلة ، ولما كانت تلك الحكومة قد زالت بتاليف حكومة جديدة باسم الحكومة العراقية ، فاصبحت الجريمة المنوه عنها من دون حكومة شرعية مختصة بتعقيبها والعقاب عنها ، وان الحكومة العراقية لا حق لها في العقاب بجريمة لم تكن واقعة ضدها ، فحق الحاكمية العقوبة امران متصلان ببعضهما ، ولا يمكن انفكاك احدهما من الآخر . . .

ولا يرد على الخاطر ان الحكومة العراقية قد ورثت الحقوق التي ولدتها الحكومة الاحتلالية ، حيث ان الحقوق الموروثة فيما له منفعة تنتفع فيه الحكومة اللاحقة، ولا يتصور ذلك في اجراء العقوبات . لا فائدة في عقاب من قبل سلطة على من لا يتجاوز عليها .

2 ـ هل للمحاكم ان تحاكم الشيخ ضاري عن حوادث غير حادثة الكولونيل ؟ :

ان قصد محاكمة الشيخ ضاري عن قضية الكولونيل ليجمن فقط ، فواضح من الاسباب المبني عليها البيان الصادر في 30 مايس 1921 والقاضي بالعفو العام عن المجرمين السياسيين ومن له يد في ثورة 1920 وذلك من فقرة (أ) اذ يفهم منها ان الشيخ ضاري ورفاقه لم يستحقوا العفو لاتهامهم بقتل الكولونيل ليجمن او التحريض عليه ، كما انه ورد في البيان نفسه ذكر استثناء آخرين لاتهامهم بقتل ضباط من رجال الاحتلال، فكان الواجب حصر المحاكمة عن قضية ليجمن فقط، واذا لاحظنا نص التهمة نجدها تتضمن ثلاث نقاط .

وبعدها اتجهت الهيئة في دفاعها الى مناقشة الافادات وشهادات الشهود في محاولة ذكية منها لإبعاد الشبهات عن موكلهم وايراد جميع القواعد الفقهية العامة التي في صالحه . . وكم نود الآن لو تمسكت الهيئة بربط قضية المتهم بدوافعها السياسية الاصيلة والاصرار على ذلك ، بعد ان اتهمهم حاكم الاحالة بالشغب وسحب اجازة احدهم (داود السعدي) حتى لو ادى ذلك الى تخليهم عن الدعوى واحراج هيئة المحكمة في اصدار حكم غير شرعي ضد المتهم وتنفيذه بحقه . .

فقد كانت القضية سياسية فعلا ، واصر الشعب على أن يجعل منها

قضية سياسية . . المرة الاولى عند وفاة ضاري . والمرة الثانية عندما ازالت ثورة تموز تمثالا صغيرا لهجان على بعيره ، يدور مع الريح، فوق برج ساعة القشلة ببغداد ، حيث لم يكن ذلك الهجان سوى ليجمن ■

ايضاح

■ لقد اعتمدنا في عرض هذا الموضوع على جرائد : الاستقلال والعراق والعالم العربي ، التي نشرت وقائع محاكمة الشيخ ضاري امام محكمة الجزاء الكبرى بالتفصيل . وانفردت جريدة الاستقلال بانها نشرت اضافة الى ذلك وقائع محاكمته امام حاكم الاحالة في الرمادي السيد عبدالمجيد جميل ، وبعد وفاة ضاري اصدرت عددا خاصا بالمناسبة مجللا بالسواد كما عمد صاحبها عبدالغفور البدري الى نشر التقرير الطبي الخاص بتشريح جثة الشيخ ضاري اثر ما راج من انه مات مسموما في السجن .

■ وقمنا باجراء مقابلة شخصية مع الشيخ خميس الضاري في داره الواقعة بكرادة مريم يوم 1977/5/4 بحضور ولده السيد فهد ، وزودنا بالاضافة الى ايضاحاته النافعة برسالة مخطوطة كتبها اخوه الحاج سليمان في الموضوع تقع بثلاث صفحات ونصف من الحجم الكبير .

واجرينا مقابلة اخرى مع الحاج سليمان الضاري ــ وهو احد ثلاثة قتلوا ليجمن ــ في داره الواقعة في في الاعظمية يوم 21 / 5 / 1977 بحضور الصديق عبدالحق نعمان احمد وسالناه بالاضافة الى التفصيلات التي ادلى بها عن صحة ما دونه الاستاذان عبدالحميد العلوجي وعزيز الحجية رواية عنه في كتابهما « الشيخ ضاري » فوثق النقل واقر المدون ولكي نجنبه بعض الجهد فقد اعتمدنا على ما نقلاه عنه ، على اننا عرضنا وجهات النظر الاخرى عن الاحداث التي تمت يومذاك، وقد اعتمدنا في ذلك على مصدر مهم هو كتاب (30 سنة في الوظيفة) تاليف عميد الشرطة عبدالجبار

الجسام الذي كان ضابط الشبانة في نقطة ابي منيصير ايام وقوع الحادث ، وكذلك على ما ادلى به الشهود امام المحاكم التي نظرت الدعوى وقد اجرينا استطلاعاً ميدانياً في بنايتي المخفر وخان ضاري .

■ ولنا ان نذكر هنا : بان كل ما جاء في الموضوع من وصف وما ادير فيه من حوار فهو موثق من قبلنا ولم نأت به على سبيل مراعاة فن الانشاء حتى اننا اضطررنا ان نستطلع الانواء الجوية في سنجار يوم القي القبض على ضاري ، وفي بغداد يوم وفاته من خلال ما نشرته الصحف الصادرة في تلك الايام .

■ اما ابرز المصادر الاخرى التي اعتمدنا عليها في كتابة البحث ، فهي :

— ثورة العراق تاليف السر الفريق ايلمر هولدين — ترجمة فؤاد جميل .
— السر اي. تي. ولسن — ترجمة جعفر خياط .
— المس بيل — ترجمة جعفر خياط .
— العراق في تطوره . السياسي لمؤلفه ايرلند — ترجمة جعفر الخياط.
— بطل من جزيرة العرب للكابتن مين — ترجمة سليم طه التكريتي (لم ينشر بعد).
— ثورة العشرين تاليف كوتلوف — ترجمة الدكتور عبدالواحد كرم.
— احداث ثورة العشرين تاليف كاظم الدجيلي .
— الوقائع الحقيقية تاليف علي آل بازركان .
— الحقائق الناصعة تاليف فريق المزهر آل فرعون .
— الثورة العراقية الكبرى — تاليف عبدالرزاق الحسني .
— ثورة تلعفر — تاليف قحطان احمد عبوش التلعفري .
— مقدرات العراق السياسية — تاليف محمد طاهر العمري .
— الثورة العراقية الكبرى الدكتور عبدالله الفياض .
— ذكريات علي جودة الايوبي .
— الثورة العربية الكبرى امين سعيد .
— خلق الملوك رسائل المس بيل — ترجمة عبدالكريم الناصري .
— الضحايا الثلاث — تاليف عبدالمنعم الغلامي .
— مشكلة الموصل — تاليف الدكتور فاضل حسين .
— ثورة العراق التحريرية — تاليف كاظم المظفر .
— الثورة العراقية الكبرى — تاليف محمد علي كمال الدين .
— 30 سنة في الوظيفة — تاليف عبدالجبار عباس الجسام .

هذا بالاضافة الى المصادر الاخرى التي وردت اثناء البحث .

● الشيخ غازي



الكولونيل لجمان



خميس بن ضاري



سليمان بن ضاري



جعفر ابو التمن



علوان الياسري



جميل المدفعي



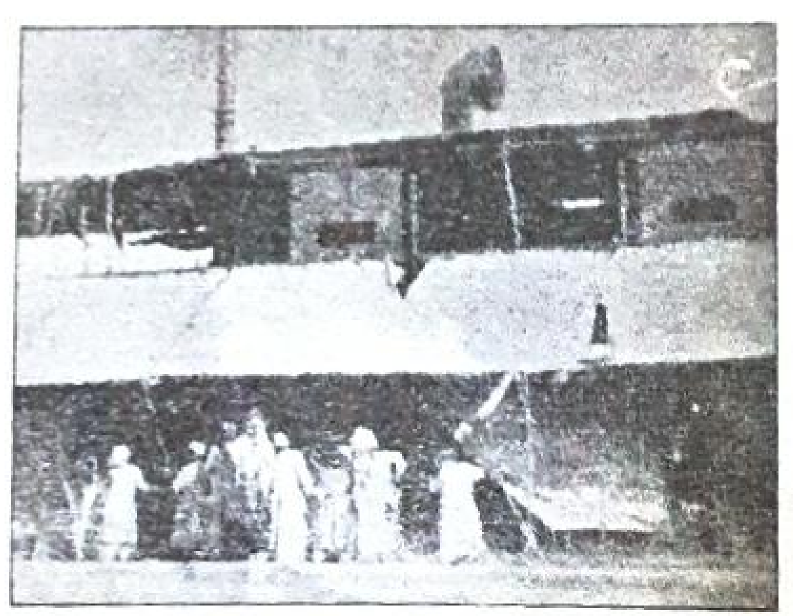
محمد سعيد الحبوبي



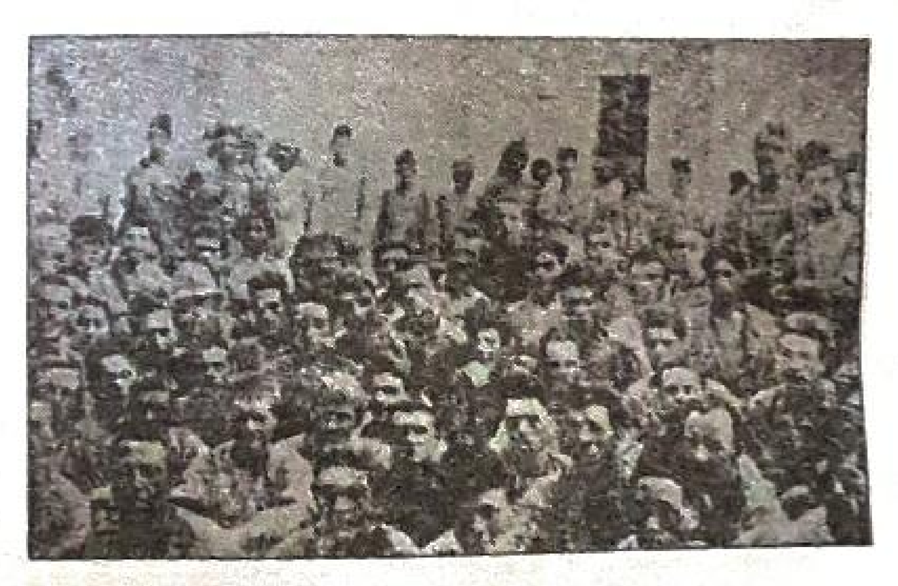
عبدالمحسن شلاش



● علي جودت الأيوبي



● الباخرة فايرفلاي قبل ان يدمرها الثوار



● الاسرى البريطانيون الذين وقعوا بيد الثوار العراقيين



● علي البزركان



● يوسف السويدي



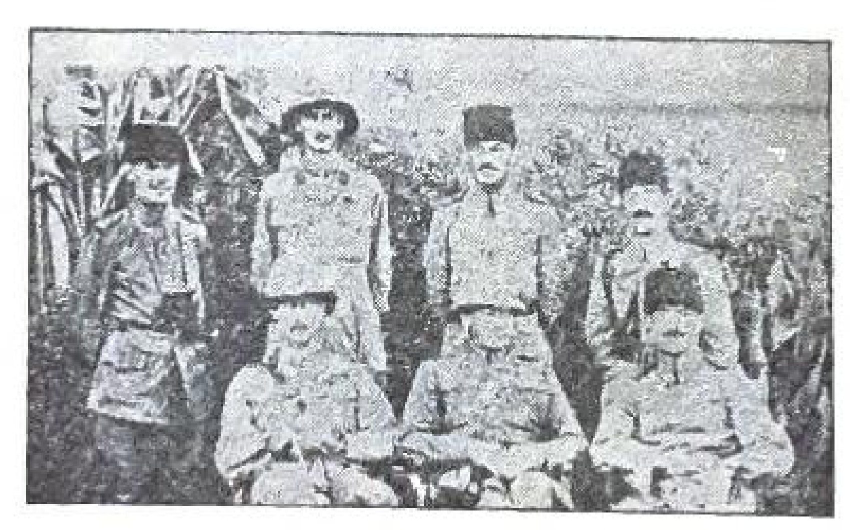
● ياسين قدوري المحامي



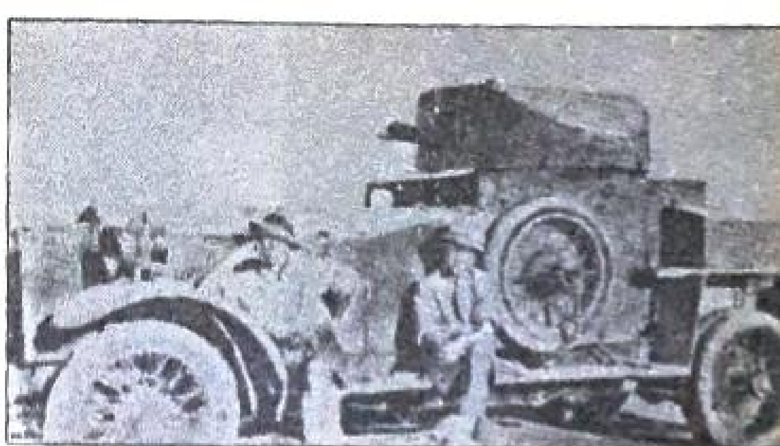
● المس بيل



● ولسن وكيل الحاكم الملكي



● الجنرال طاونزند بعد وقوعه في الاسر يشاهد في الصورة مع القائد التركي خليل باشا



● سيارة لحمان المعروفة باسم «طالبة الثار»



● سيارة لحمان المعروفة باسم «المراوغة»



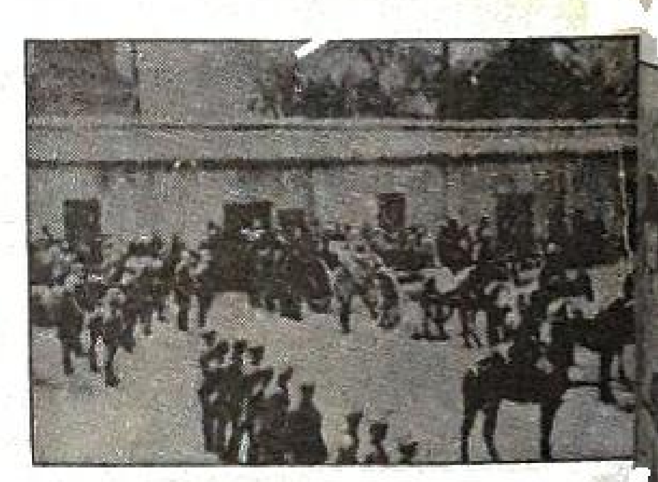
الشيخ احمد الشيخ داود



الشيخ عبدالواحد الحاج سكر



مخفر الى منبصير وفي اعلى الصورة غرفة لجان



ـازة لجان تأخذ طريقها من القشلة في بغداد الى المقبرة



لجان في مرقده الاخير



عبدالجبار عباس الحسام



عبدالمحسن ابو طبيخ



هولدن القائد البريطاني

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٤٩٢ لسنة ١٩٨٣

ثمن النسخة : دينار ا

مصرع الكولونيل لچمان

لقد تناول هذا الكتاب صفحة من صفحات ثورة العشرين التي بذل فيها الشعب العراقي دماء غالية وتضحيات جمة لصيانة كرامته واستقلاله الوطني والقومي . وكانت الثورة من العنفوان والشدة بحيث قال قائل الانكليز في بلاده « ليتنا لم نذهب الى هناك » ويريد العراق باشارته . لقد تناولت المصادر والدراسات التي كتبت عن ثورة العشرين قضية الشيخ ضاري ولچمان تناولا عابرا وجنح أغلبها الى أعتبار الحادث الذي وقع بينهما في نقطة أبي منيصير قد وقع لاسباب آنية لا تتعدى المشادة التي دارت بينهما عندما اتهم لچمان الشيخ ضاري بتحريضه على قطع طريق بغداد ـ فلوجة على السابلة والمسافرين . ان هذا الكتاب يوضح الكثير عن ثورة العشرين ورجالها الابطال حيث تناول المؤلف امورا عديدة عنها لاجل التعرف على هذه الثورة الخالدة .

الناشر

تصميم : عماد شاكر البكري